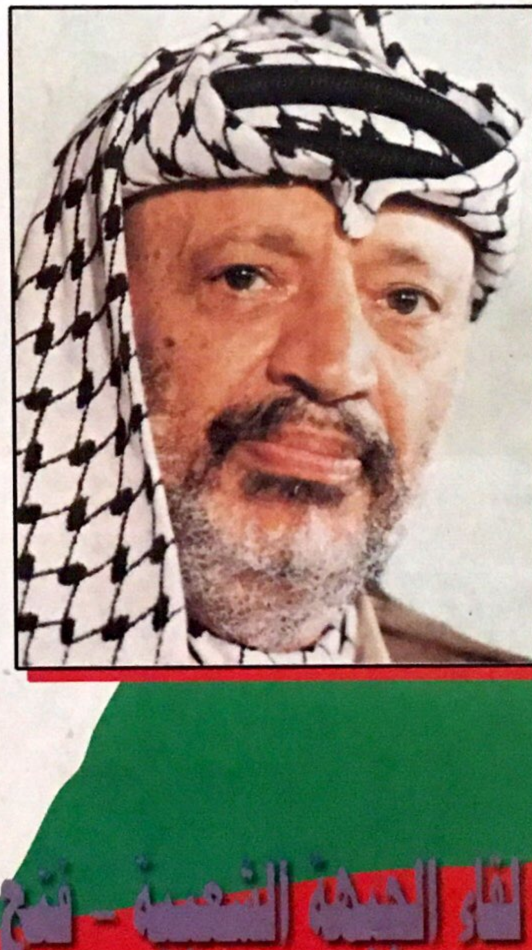
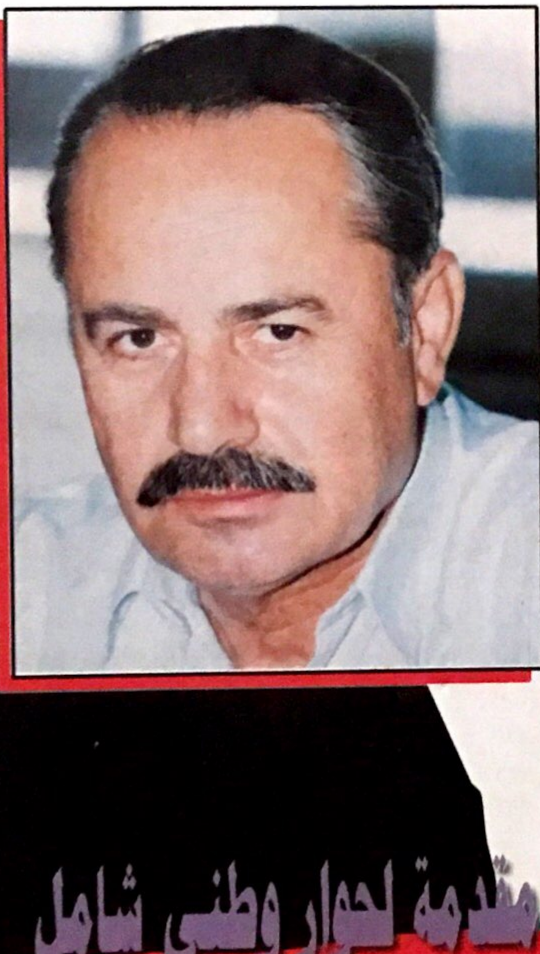
رحيل الشاعر العربي الكبير عبدالوهاب البياتي

سياسية عربية
كل الحقيقة للجماهير

الهدف
AL HADAF





لقاء الجبهة الشعبية - فتح مقدمة لحوار وطني شامل

خطوة للوراء.. خطوتان للأمام..

العدد ١٢٩٦ ٢٢ آب ١٩٩٩ السنة الحادية والثلاثون - الثمن ٢٠ ل س /١٠٠٠ ل ل
AL - HADAF - No . 1296 - 22/8/1999

لوحات الفنان/ علي حسين
امتداد كمّي لتجاربه السابقة

علي الكردي

لم نلمس في لوحات الفنان التشكيلي علي حسين التي عرضها مؤخراً في صالة السيد بدمشق إضافاتٍ نوعية جديدة على تجاربه السابقة، لا من حيث التكوين الذي يعتمده في تأليف لوحته، ولا من حيث العناصر الزخرفية واللونية التي تزخر بها لوحته، ولا من حيث الموضوع الذي تشغل المرأة فيه الحيّز الأكبر، كرمزٍ للأنوثة والخصب والتجدّد والجمال.

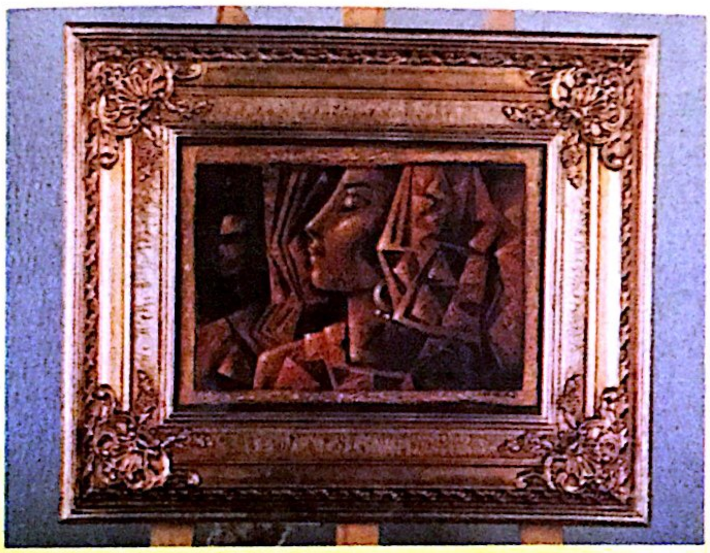
ولعل الإضافة الوحيدة التي لفتتْ انتباهنا، هي استخدام الفنان حسين إطار اللوحة كمساحة إضافية للرسم، شغلها بشكلٍ خاصٍ بالعناصر الزخرفية التي أرادها امتداداً لفضاء اللوحة، وقد بات في الأونة الأخيرة استخدام إطار اللوحة كمساحة إضافية للرسم ظاهرة شائعة عند عددٍ كبير من الفنانين التشكيليين، ولا ندري إذا كان لهذه المسألة ما يبرّرها، أم هي مجرّد موضة سرعان ما تنحسر؟

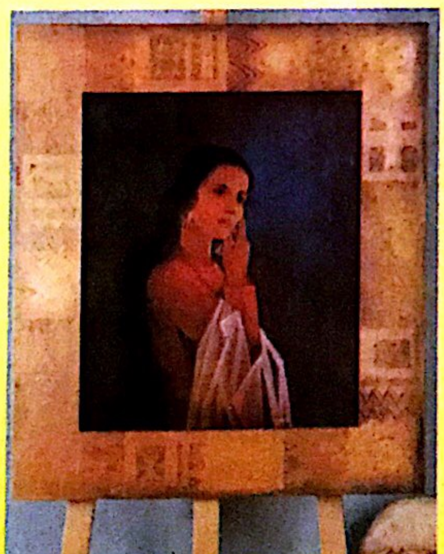
بكل الأحوال، هذه المسألة تستحق التأمّل، لاسيما وأن بعض الفنانين لديهم مبرّرات مقنعة لمثل هذا الاستخدام.

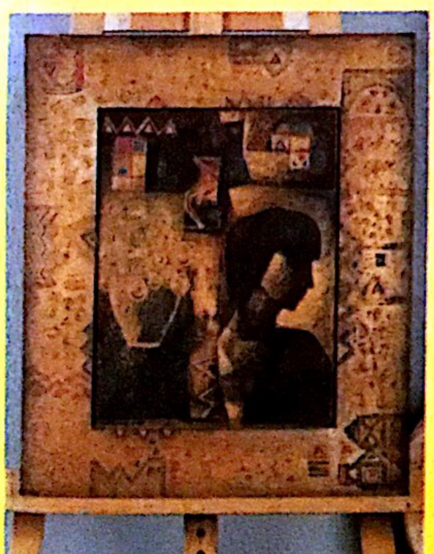
يعتمد الفنان علي حسين في تكوين لوحته على كتلة أساسية تشغل البؤرة المركزية في اللوحة، وغالباً ما تكون (وجه امرأة، بيوت، طبيعة صامتة) ثم يوزّع بقية الكتل الثانوية على أطراف الكتلة الرئيسية، وغالباً ما تكون عناصر زخرفية، ليغني لوحته بالتفاصيل والأجواء التي تخلق مناخاً شرقياً للوحته.

وغالباً ما يستخدم التضاد بين الظل والنور، إضافةً إلى التضاد ما بين الألوان الحارة والباردة، ليبرز العناصر الأساسية التي يركز عليها في لوحته، وهذا ما يضفي على اللوحة الكثير من الجمالية الهادئة المتوازنة والمدروسة بتناغم إيقاعاتها التي توحي بالجلال والفخامة، خاصة، وأن اللون الذهبي (المقدّس) يكاد يكون العنصر اللوني الطاغي على لوحات حسين، وهذا يسهم بشكلٍ أساسي في ترسيخ هذا الإحساس لدى المتلقي.

رغم جماليات لوحة الفنان علي حسين، التي تشي بتمكّن هذا الفنان من أدواته وسيطرته عليها، لكن لاندري إذا كان من الحكمة، أن يكرّر الفنان عرض تجاربه نفسها في معرض جديد؟ لأن المتلقي ينتظر من أي فنان إضافات جديدة تكون نتاج بحثٍ دؤوب، ودراسات جادّة، يخوضها الفنان خلال الفترة الفاصلة ما بين معرضين.







AL - HADAF
الهدف
سياسية عربية - تصدر مؤقتا كل أسبوعين

«الهدف» ٢٢ آب ١٩٩٩ - العدد ١٢٩٦
السنة الحادية والثلاثون - الثمن ٢٠ ل.س/ ١٠٠٠ ل.ل
AL - HADAF - No. 1296 - 22/8/1999



رئيس التحرير
د. ماهـر الطاهـر

سكرتير التحرير
خليـــل جنداوي

مدير الادارة
محمد خير الاسعد

المدير الفني
زهـــدي العـدوي

ثمن النسخة

لبنان ١٠٠٠ ل.ل/ سوريا ٢٠ ل.س/ الاردن ٥٠٠ فلساً/ العراق ١٠ د.ع/ الإمارت ١٠ درهماً/ الجزائر ١٥ ديناراً/ ليبيا دينار واحد/ تونس ١.٢٥ د.ت/ صنعاء ١٥ ريالاً/ السودان ٦ جنيها/ المغرب ١١ درهماً/ أمريكا وكندا ٣ دولار/ المانيا ٥ ماركات/ اسبانيا ٣٠٠ بيزيته.

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوي بما فيها اجور البريد
سوريا ٦٠٠ ل.س/ لبنان والأردن ٣٠ دولارا/ بقية الدول العربية ٥٠ دولارا/ اوروبا ١٢٥ دولارا/ اسيا وافريقيا ١٠٠ دولارا/ الامريكتين. واستراليا ١٥٠ دولارا.
∴ يتم الاشتراك بارسال اشعار الايداع بقيمة الاشتراك السنوي (او نصف السنوي) على العنوان التالي: بنك بيروت والبلاد العربية.
شتورا - لبنان.
رقم الحساب AC.NO.22004
∴ او بارسال شيك بنكي باسم «الهدف» دمشق/ ص ب ٣٠١٩٢

المكاتب

دمشق: ص.ب ٣٠١٩٢
دمشق: ٦٣٢٨٢٦٧ - ٦٣١٩٣٧٤
بيروت: ٣٠٩٢٣٠/ عمان: ٦٩٦٣٤٠
الجزائر: ٥٩٤٥٤٨ - ٣٨٤٣٠٤
بغداد: ٧١٩١٦٢٢ - ٧١٧٤٧١٠
صنعاء: ٢٠٥٨٤٩

• التوزيع في الجمهورية العربية السورية: المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات
• التوزيع في المغرب:

كلمة

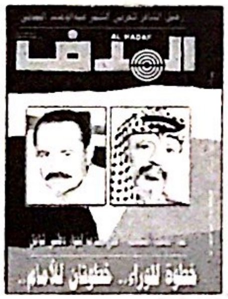
كثيرون فرحوا بانتخاب أيهود باراك!! ورغم أن أغلب هؤلاء هلل أصلاً لسقوط نتنياهو.. إلا أنه لايجوز تجاهل حقيقة أن البعض توهم أن باراك سيسعى لتنفيذ سياسة مناقضة أو على الأقل مختلفة عن تلك التي اتبعها نتنياهو..

لم تمر أسابيع فقط حتى تبددت هذه الصورة، وبدأت الأوهام بالتبخر.. فالصحافة الإسرائيلية نفسها كانت أول من شبّه رئيس الحكومة الحالية بسلفه، بل وأطلقت عليه اسما لايخلو من دلالة: «باراكياهو»... ويبدو أن أيهود باراك الحريص على موقعه في تاريخ بلاده، لايريد أن يسجل المؤرخون أنه كان أقل تشدداً من نتنياهو، فما معنى أن يسجل باراك ملاحظات على اتفاق «واي» ليقول أن هذا الاتفاق الذي شارك في صياغته مجرم الحرب المتطرف أريل شارون ووقعه نتنياهو رئيس الوزراء الأكثر تطرفا في تاريخ إسرائيل «يعرض أمن إسرائيل للخطر»!! ولاننسى هنا أحاديثه عن «سلام القوة»، وعن «الانتصار النهائي للصهيونية»... ولاءاته الشهيرة والتي هي نفسها لاءات نتنياهو..

ولاتقتصر الأمور على تسجيل المواقف فقط، ففي الممارسة العملية نجد أن باراك يحاول بكل طاقته أن يتفوق على سلفه.. وهذا ما نجده مثلاً في موضوع الاستيطان حيث قرأنا في الصحف قبل أيام أن «وتيرة الاستيطان الحالية أسرع بعشر مرات مما كانت عليه في عهد حكومة نتنياهو السابقة»... وهذا الكلام ليس لمسؤول أو مواطن فلسطيني ليُفهم أن قصده المبالغة، بل جاء في بيان لحركة «السلام الآن» الإسرائيلية التي تتخذ من تل أبيب مقراً لها، وقد ورد في نفس هذا البيان أن حكومة باراك أصدرت ٢٥٧٢ مناقصة بناء في مستوطنات الضفة الغربية خلال ستة أسابيع فقط وليضيف البيان أن الحكومة الإسرائيلية تستعد لبناء ١٠٥٥ مسكناً جديداً في مستوطنات أغلبها يقع قرب القدس المحتلة.

في ظل هذا الوضع الذي تتكاثر فيه المخاطر وتبرز من كل جانب.. يأتي لقاء وفد الجبهة الشعبية مع وفد من اللجنة المركزية لحركة فتح في القاهرة ليبث شيئاً من الأمل في الشارع الفلسطيني.. فاللقاء كما يؤكد الطرفان هو مقدمة لحوار وطني شامل سيكون هدفه إعادة الاعتبار لشعار الوحدة الوطنية التي يحتاج إليها الآن الشعب الفلسطيني أكثر من أي وقت مضى..

موضوع الغلاف:



لقاء الجبهة الشعبية-فتح
مقدمة لحوار وطني شامل
خطوة للوراء.. خطوتان للأمام..
صفحة ٦

في هذا العدد

شؤون فلسطينية

شؤون عربية

شؤون العدو

شؤون دولية

الهدف الثقافي

الحوار الفلسطيني ـ الفلسطيني

هل يتوصل إلى نتائج جادة تحمي القضية والشعب؟

في الأول من شهر آب ١٩٩٩ جرت في القاهرة اجتماعات مركزية مكثفة بعد انقطاع طويل إثر توقيع اتفاقات أوسلو بين وفد من المكتب السياسي للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين برئاسة نائب الأمين العام الرفيق أبو علي مصطفى ووفد من اللجنة المركزية لحركة فتح برئاسة السيد ياسر عرفات.

وقد صدر في ختام الاجتماعات بيان سياسي أكد على التمسك بالثوابت الوطنية الفلسطينية، وفي مقدمتها حق العودة وتقرير المصير وإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس كما أكد على تفعيل وتطوير مؤسسات م.ت.ف على أسس جبهوية وديمقراطية باعتبارها إنجازاً وطنياً للشعب الفلسطيني وممثلاً شرعياً ووحيداً له في جميع أماكن تواجده، إضافة إلى الدعوة لإجراء حوار وطني شامل بين كافة القوى والفاعليات في الساحة الفلسطينية لاستعادة الوحدة واستنهاض طاقات الشعب الفلسطيني لإنهاء الاحتلال وإزالة المستوطنات ولمواجهة مهام واستحقاقات المرحلة القادمة.

لقد أثار هذا الحوار ردود أفعال متباينة على الصعيد الفلسطيني وعلى الصعيد العربي بين مؤيد ومعارض ومنتظر، كما أثار سلسلة من التساؤلات والجدل حول أهدافه وتوقيته وإمكانيات نجاحه أو فشله على ضوء مجمل الظروف المحيطة بالوضع الفلسطيني في الظروف الراهنة.

إن الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين التي انطلقت بقناعة لإجراء هذا الحوار ارتباطاً برؤيتها للمصالح العليا للشعب الفلسطيني، وفي محاولة لدرء المخاطر الكبرى المحيطة بقضيتنا وشعبنا فإنها ترى وتقرأ كافة وجهات النظر المطروحة إزاء هذا الحوار، وهي في الوقت الذي ترحب فيه بوجهات النظر الموضوعية ولو من موقع النقد والاعتراض، فإنها تستهجن تلك الأصوات والأقلام التي تستهدف التشكيك بمصداقية الجبهة ودوافعها بعد الإقدام على هذه الخطوة.

إن موضوع الحوار الوطني الشامل بالنسبة للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ليس جديداً، بل هو مطروح منذ سنوات ولم تترك الجبهة فرصة إلا وحاولت من خلالها إعادة ترتيب البيت الفلسطيني على أساس وطني من خلال القيام بعملية مراجعة شاملة لمسيرة العمل الوطني الفلسطيني. وخاصة بعد توقيع اتفاقات أوسلو وما ألحقته من أضرار فادحة على النضال الوطني الفلسطيني والنضال العربي بشكل عام. وبالتالي فإننا لانعرف لماذا فوجئ البعض بموقف الجبهة الشعبية وهي التي تقدمت بمبادرة لاستعادة الوحدة الوطنية على أساس البرنامج الوطني لـ م.ت.ف منذ حزيران ١٩٩٦.

إن المشهد والوضع الفلسطيني بعد ٦ سنوات على توقيع اتفاقات أوسلو بما ولدته من تهديد حقيقي للوحدة السياسية للشعب الفلسطيني الموزع في تجمعات مختلفة سواء في المناطق المحتلة عام ١٩٤٨ أو في الضفة والقطاع أو في مناطق الشتات. هذا الشعب بات مهدداً بكل أنواع التفتيت على ضوء علامة السؤال الكبرى المحيطة بمستقبل م.ت.ف كممثل وإطار جامع ومرجعية

للشعب الفلسطيني في كافة أماكن وجوده.

لاشك أن الوضع الفلسطيني يعاني مازقاً عميقاً وشاملاً ويعيش الفلسطينيون حالة من القلق الشديد والحيرة حول واقعهم ومستقبل قضيتهم ومصيرهم. وهذا الوضع الفلسطيني المأزوم يشمل الجميع سلطة ومعارضة مع الفارق الجوهري بطبيعة الحال بين أزمة السلطة التي تقدم تنازلات متواصلة للعدو وأزمة المعارضة التي عجزت عن شق مجرى جديد وفاعل على الأرض وفي الواقع السياسي لتشكيل بديل ملموس تلتف حوله الجماهير الفلسطينية.

على ضوء هذا الواقع فقد بات من الضرورة الوطنية التفكير الجاد والسعي الدؤوب لمحاولة استعادة وحدة م.ت.ف على أسس وطنية وإعادة بناء مؤسساتها على أسس ديمقراطية حتى ولو لم يكن النجاح مضموناً لإنجاز هذه العملية.

إن الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين فصيل أساسي في الساحة الفلسطينية ومؤسس في منظمة التحرير وليس مطلوباً أن نكتفي بتسجيل مواقف للتاريخ وإبراء الذمة، بل ينبغي وهذا ما تمليه المسؤوليات الوطنية أن نتحرك وبشكل فاعل لدرء المخاطر عن شعبنا والذي سيواجه استحقاقات سياسية كبرى وخطيرة تمس جوهر قضيته، ونقصد بذلك: القدس واللاجئين والمستوطنات والدولة. ومن هنا يصبح مطلوباً من أي قيادة مسؤولة أن تتقدم برؤية جريئة وشاملة لإخراج المشروع الوطني الفلسطيني من أزمته، والخروج من الأزمة واقعياً وعلى ضوء مجمل الظروف المحيطة يتطلب العمل الجاد لاستعادة وحدة المنظمة والفصل بين مؤسساتها ومؤسسات السلطة. لأن منظمة التحرير الفلسطينية تشكل المرجعية والإطار السياسي والحقوقي المعترف به دولياً وعربياً والمعبّر عن الهوية الوطنية للشعب الفلسطيني، فهل نضحي بهذا الإنجاز ببساطة؟ وهل منظمة التحرير هي ملك لفرد أو فئة أو قيادة حتى نقول أننا لسنا معنيين بها؟

إن ضرب وإنهاء منظمة التحرير هو مطلب أميركي ـ إسرائيلي بهدف تفتيت وحدة الشعب الفلسطيني وتحويله إلى مجموعات سكانية ليسهل تمرير مخططات التوطين والتهجير وتبديد الشخصية والهوية الوطنية الفلسطينية، وبالتالي فإن السؤال الأساسي المطروح على جميع الوطنيين في الساحة الفلسطينية هو: كيف نحافظ على منظمة التحرير ببرنامجها وميثاقها بعد أن شلّها وعطلها اتفاق أوسلو وما أعقبه من اتفاقات؟

إن الحوار الوطني الهادف إلى استعادة وحدة المنظمة وتفعيلها وتطويرها هو شكل من أشكال تأكيد وحدة الشعب الفلسطيني المهددة وشكل من أشكال مواجهة أوسلو وليس اللحاق به، خاصة إذا كان موضوع وحدة المنظمة يرتبط بتصور شامل يقوم على أساس ضرورة الاتفاق على تشكيل مجلس وطني فلسطيني جديد يتم على قاعدة إجراء انتخابات حرة في الأماكن التي يمكن فيها إنجاز مثل هذه الانتخابات كالداخل مثلاً والتعيين في الأماكن التي يتعذر فيها إجراء مثل هذه الانتخابات والتعيين في هذه الحالة ينبغي أن يتم من خلال تشكيل لجنة وطنية تضم كافة الفصائل الفلسطينية وعدداً واسعاً من الشخصيات الوطنية من الداخل والخارج ليتم تعيين أعضاء المجلس الوطني الفلسطيني غير المنتخبين على أساس معايير النزاهة والكفاءة والالتزام وليس على أساس معايير المحسوبية والولاء.

إن المجلس الوطني الحالي انتهت مدته القانونية وتم إغراقه بالمئات من الأسماء بحيث بات متعذراً حتى معرفة عدد عضوية المجلس ومن هنا فإن الجبهة الشعبية ستقدم أوراق عمل محددة حول منظمة التحرير الفلسطينية وكيفية إعادة بناء مؤسساتها والآليات المحددة لتحقيق ذلك كما ستتقدم بورقة عمل تتضمن رؤيتها لموضوع الحوار الوطني الشامل الذي يجب أن تنقل وقائعه إلى الشارع الفلسطيني لتحويل قضية الحوار إلى قضية رأي عام تهم كل الشعب الفلسطيني لينخرط بشكل فاعل في حالة الجدل الدائرة لأن ٦ سنوات على أوسلو كانت كافية لقراءة الحصيلة والحصاد.

لاشك أن الإجابة السليمة على سؤال: أين يكمن التناقض الرئيسي في مرحلة التحرر الوطني؟ ألا يكمن في التناقض مع إسرائيل والمشروع الصهيوني؟

إن الإجابة الصحيحة على هذا السؤال تفتح الآفاق نحو حوار وطني شامل يستهدف تحشيد الطاقات واستنهاض الشعب لمواجهة الاحتلال الجاثم فوق صدور شعبنا رغم كل التنازلات التي أقدم عليها فريق أوسلو.

إن المعركة الرئيسية هي مع الاحتلال وبعد ذلك تأتي المعركة مع الاتفاقات المدانة من شعبنا والتي دفع هذا الشعب ثمنها باهظاً. إن الحوار الفلسطيني ـ الفلسطيني يمتلك عوامل النجاح إذا تم الالتزام والترجمة العملية لما يمكن الإتفاق عليه ولكن إذا استمر منهج القيادة الفردية والعمل وفق مبدأ قل ما تشاء وأنا أفعل ما أشاء فإن هذا الحوار ونتائجه ستكون معرضة للفشل.

إن مقياس النجاح ومعياره الحاسم ليس الكلام، بل التطبيق العملي من خلال التمسك الحقيقي بالثوابت الوطنية الفلسطينية وفي مقدمتها حق العودة وتقرير المصير وإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس.

فإذا كانت إسرائيل بجميع قواها الأساسية تضع خطوطاً حمراء وتقول لا لحق اللاجئين بالعودة، ولا انسحاب من القدس، ولالإزالة المستوطنات، فلماذا لاتتفق القوى الفلسطينية على خطوط حمراء لايمكن تجاوزها تضمن استعادة الحقوق الوطنية الفلسطينية غير القابلة للتصرف والمساومة؟

فهل يتوصل الحوار الفلسطيني ـ الفلسطيني إلى نتائج جادة تحمي القضية والشعب؟ هذا ما ينتظره الشعب الفلسطيني في كل مكان ■■

لقاء الجبهة الشعبية ـ فتح
مقدمة لحوار وطني شامل

«حجر كبير في بركة راكدة».. هكذا باختصار يمكن وصف الوضع الفلسطيني بعد إعلان الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين عن موافقتها على عقد حوار مع اللجنة المركزية لحركة فتح في القاهرة، حيث شهد الشارع السياسي سجالاً مازلنا نتابع فصوله بين مؤيد ومبارك أو غير ممانع للخطوة من حيث المبدأ مع تسجيل بعض التخوفات، أو رافض لها بشكل مطلق أو قطعي.. ونؤكد هنا على أهمية حالة الجدل هذه وضرورة الاستفادة منها واستثمارها باعتبارها فرصة لتقييم الوضع الحالي الذي وصلت إليه المسيرة الفلسطينية؟ وبالتالي إستخلاص الدروس استعداداً للمرحلة القادمة.. وفي هذا السياق نشير إلى أن حالة السجال والجدل هذه تظل طبيعية بل ومتوقعة أيضاً، فالجبهة الشعبية في كل الأحوال تظل طرفاً فاعلاً ومؤثراً في الساحة السياسية وهي حين تتبنى توجهاً ما، فإن هذا سيترك آثاره بالتأكيد على مجمل الوضع الفلسطيني.

خطوة للوراء.. خطوتان للأمام..

خليل جنداوي

سلسلة طويلة من الأسئلة أطلقتها خطوة الجبهة الشعبية الأخيرة والتي ترجمت إلى لقاء في القاهرة بتاريخ ١٩٩٩/٨/١ بين وفد من المكتب السياسي للجبهة برئاسة الرفيق أبو علي مصطفى ووفد من اللجنة المركزية لحركة فتح برئاسة الأخ ياسر عرفات.. لماذا الحوار الآن بالذات وما الذي تغير..؟ على أية أرضية سيجري هذا الحوار..؟ هل تخلت الجبهة عن خطابها السياسي وتحديداً عن معارضتها لاتفاق أوسلو..؟ هل تسعى الجبهة للحصول على حصة في السلطة وبالتالي ستشارك في مؤسسات سلطة الحكم الذاتي..؟ إلى أين يجب أن يقود هذا الحوار، وبكلام أخر ما الذي تريد الجبهة الشعبية تحقيقه عبر هذا الحوار؟ وهل تعتقد أنها قادرة على إنجاز شيء جدي في هذه الظروف علماً بأنها في مناسبات تاريخية سابقة كانت تتمتع بأوراق قوة أكثر بكثير مما هي عليه الآن، لكنها فشلت في إجبار عرفات على تنفيذ مطالب وإصلاحات كان يبدي لفظاً موافقته عليها أو يسلم بها على الورق فقط..؟ ألا تمارس الجبهة الشعبية نوعاً من «التضليل» على جماهيرها حين تقول إنها لاتحاور سلطة الحكم الذاتي بل اللجنة المركزية لحركة فتح.. وهل من فارق بين السلطة وفتح؟ ألا تخشى الجبهة من أن يقوم الطرف الآخر باستغلال الحوار معها كغطاء سياسي لسلسلة جديدة من التنازلات التي قد يُقدم عليها؟ هل من الممكن عملياً في الظروف الحالية إقامة نوع من الوحدة الوطنية الفلسطينية؟ وهذه الوحدة مع من.. ولأجل ماذا..؟ ألم تتعظ الجبهة الشعبية من تجاربها السابقة مع أبو عمار؟.. وغيرها.. وغيرها من التساؤلات التي ما إن تفتح الباب لأحدها حتى تجدها تتزاحم لتبدو وكأن لانهاية لها.. ولأننا بالتأكيد لن نستطيع الإجابة على كل هذه الأسئلة هنا لضيق المجال، سنقصر حديثنا على بعض المحاور الأساسية.

لماذا الحوار الآن؟

شددت الجبهة الشعبية في بياناتها وفي أحاديث بعض قادتها سواء الخاصة أو المتداولة عبر وسائل الإعلام على أن الأسباب التي وقفت وراء قرارها المتعلق بالحوار مع اللجنة المركزية لحركة فتح يمكن تلخيصها بما يلي:

قبل كل شيء هناك ظرف سياسي نشأ بعد وصول باراك للسلطة يتجسد في سعيه لتحريك كافة المسارات التفاوضية بعد الجمود الذي أصابها أثناء حكم نتنياهو. بالنسبة للمسار الفلسطيني لايخفى على أحد لاءات باراك المعروفة والتي سيحاول فرضها في مفاوضات ما يسمى بالحل النهائي، وهنا يجب ملاحظة أن هذه اللاءات تشمل موضوعات جوهرية لاتتعلق أو تؤثر فقط بالأراضي المحتلة عام ١٩٦٧، لكنها ترتبط بآفاق الصراع التاريخي مع العدو، وتمس مباشرة الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني والتي يجب الدفاع عنها بكل قوة ووسيلة متاحة ومن كافة القوى الفلسطينية. ونقصد طبعاً موضوعات (القدس، اللاجئين وحق العودة، المستوطنات، الدولة الفلسطينية وحدودها وسيادتها..).. العنوان الأبرز لهذا الوضع البالغ الخطورة هو اختلال موازين القوى بشدة لصالح العدو الصهيوني الذي يتمتع بتفوق كاسح في مجالات عديدة فضلاً عن الدعم الهائل الذي يحصل عليه من أطراف الإمبريالية العالمية وعلى رأسها الأمريكية. الصورة المقابلة هي عبارة عن حالة عربية بلغت درجة مرعبة من الضعف والترهل تفتقد إلى الحد الأدنى من التنسيق والتعاون. يضاف إلى ذلك وضع فلسطيني داخلي مأزوم، وهذا التوصيف يطال السلطة والمعارضة معاً، فالسلطة في مأزق نتيجة تنازلاتها وسياستها الاستسلامية للمطالب والاشتراطات الإسرائيلية، أما المعارضة الفلسطينية فهي الأخرى في مأزق وإن كان من نوع مختلف إلا أن هذا التمييز لايغير من حقيقة الأمر شيئاً. فالمعارضة عجزت عن إسقاط أوسلو أو على الأقل محاصرته لأنها ببساطة غرقت في خلافاتها الداخلية ولم تفلح في تقديم أي مشروع عملي جدي مناهض لما يجري وبالتالي فإنها فشلت في تقديم البديل المقنع لجماهير الشعب الفسطيني. من جهة أخرى يجب ألا نغفل حقيقة أن اتفاق أوسلو انتهى بالمعنى الزمني في ١٩٩٩/٥/٤ والمقصود هنا أن عمره الافتراضي حُدد وقت التوقيع على اتفاق القاهرة في ١٩٩٤/٥/٤ بخمس سنوات، ورغم أن هذه النهاية لاتلغي بأي حال نتائجه السياسية، لكن هذا يعني بوضوح وبشكل قاطع أن مرحلة جديدة باتت على الأبواب..

في ظل هذه الظروف بالغة الخطورة الآخذة بالتشكل والتي ستنعكس آثارها بشكل مباشر على عموم الشعب الفلسطيني وفي كل تجمعاته

ولأن الجبهة الشعبية لديها قناعة راسخة بأن الشعب الفلسطيني لن يحصل على شيء مما تتضمنه ما يسمى قضايا الحل النهائي عبر المفاوضات، بل عن طريق سلسلة طويلة من المعارك الكفاحية والنضال الدؤوب المتواصل الذي يستطيع حشد أطر واسعة من الجماهير الشعبية ويوجهها نحو هذه الأهداف، رأت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بصفتها فصيلاً كفاحياً انبثق من وسط الجماهير وعاش همومها، ويعمل وفق برنامجه السياسي والاجتماعي على صون وحماية مصالح الشعب الفلسطيني كافة وانجاز مهام التحرر الوطني، أن واجبها التاريخي يحتم عليها أن تطرح تصوراً شاملاً لإخراج المشروع الوطني من أزمته.. هذا التصور يقوم في خطوطه العامة على مفصلين أساسيين: الأول يقول بضرورة حشد كل القوى الفلسطينية في معركة الدفاع عن الثوابت الوطنية واسترداد حقوقنا المغتصبة، والثاني يتمثل في إعادة بناء مؤسسات م.ت.ف على أسس ديمقراطية ووطنية والعمل على فصل المنظمة عن السلطة وخصوصاً أن المنظمة رغم كل ما أصابها بعد اتفاق أوسلو، تظل المرجعية والهوية لكل الشعب الفلسطيني سواء في الداخل أو في الشتات، علماً أن هذه المكانة ما كانت لتتحقق لولا عشرات الألوف من الشهداء الذين قدمهم شعبنا وأمتنا لحماية المنظمة في مسيرتها النضالية.. ولأن المنظمة الآن معرضة لخطر الإلغاء من قبل من يستهدف تصفية قضية شعبنا، ترى الجبهة الشعبية أنه لايجوز التفريط بهذا المكسب الوطني الكبير بأي حال، بل يجب بذل كل الجهود لحماية المنظمة ودرء الأخطار عنها، وهذا لن يكون إلا بفصل المنظمة عن السلطة.

معنى هذا أن الوحدة الوطنية في ظل الظروف الراهنة ليست ممكنة فقط، بل وتمثل ضرورة ملحة لها طابع حيوي.. لذلك تعتقد الجبهة الشعبية أنه يجب العمل وعلى كافة المستويات وقبل كل شيء لإعادة الإعتبار لشكل جدي وفاعل من الوحدة الوطنية والتي تظل أحد أبرز الأسلحة الفلسطينية المجربة في ميادين المعارك، مع الاشارة هنا إلى أن هذه الأسلحة باتت للأسف قليلة وبالتحديد بسبب اتفاق أوسلو وما خلّفه من انقسام وخراب في الساحة الفلسطينية.. وللوصول إلى هذه الوحدة كان شعار الحوار الوطني الشامل الذي تنادي به الجبهة الشعبية ودشنته بالحوار مع اللجنة المركزية لفتح في القاهرة ثم تواصل في الأراضي الفلسطينية.. ومازالت الجبهة تؤكد على كافة الأصعدة وفي كل المناسبات على ضرورة مشاركة كافة القوى والشخصيات الوطنية الفلسطينية في هذا الحوار ليصبح شاملاً فعلاً.

وهنا يجب الإشارة إلى أن فكرة الحوار بحد ذاتها ليست جديدة، فالجبهة الشعبية طرحت مبادرة حول هذا الأمر في صيف ١٩٩٦، ثم شاركت فعلاً في جلسات حوار موسعة في الأراضي الفلسطينية ضمّت كل (أو أغلب) القوى الوطنية المتواجدة في الداخل، واستمرت هذه الجلسات حتى أيلول ١٩٩٧ حين أوقفتها السلطة التي تعاطت مع الحوار بشكل استخدامي بائس أثناء مفاوضاتها مع بنيامين نتنياهو..

على صعيد آخر يجب ملاحظة أن الأخوة في فتح رغم إقرارهم بالإجحاف الذي يحمله أوسلو إلا أنهم يقولون أن مفاوضات الحل النهائي ستتواصل لسنين وأن أي فلسطيني مهما يكن لايملك الجرأة على التنازل في أي من هذه النقاط الخطيرة... والجبهة الشعبية بصراحة لاتستطيع أن تتجاهل هذا الكلام أو تصم أذنيها عنه، وخصوصاً حين يترافق مع دعوات للوحدة الوطنية، لأن الجماهير في هذه الحالة ستعتقد أن الجبهة الشعبية هي التي ترفض الوحدة أو تفشلها أو على الأقل لاتعمل لإنجاحها.. من جهة ثانية يجب ألا يغيب عن ذهن أحد أن «فتح» تظل في كل الأحوال تنظيماً واسعاً متعدد الأطياف السياسية، وهذه حقيقة موضوعية لايجوز لأحد إغفالها، لأن أي وحدة وطنية تستثني هذا الفصيل لن تبدو ناقصة فقط، بل ستكون في ظل الظروف الحالية عاجزة عن زج إطار وطني - لايستهان به في أتون المعركة..

تخوفات:

إذا حاولنا التمييز بين القوى التي ترفض حوار الجبهة الشعبية مع فتح، سنجد أنها تنقسم إلى مجموعتين: المجموعة الأولى ترفض هذه الخطوة من حيث المبدأ، وتحديداً لأسباب فكرية، أي لأنها غير مقتنعة بالأسباب التي توردها الجبهة. أما المجموعة الثانية فهي التي لاترفض الحوار من حيث المبدأ، لكنها تغلب مجموعة من المخاوف التي تتمحور أساساً حول إمكانية أن ينظر الطرف الآخر للحوار نظرته الاستخدامية السابقة، وحسب وجهة النظر هذه فإن الرئيس عرفات يريد تلميع صورته الداخلية بحواره مع الجبهة الشعبية ليقدم بعدها على تنازلات جديدة.. ويضيف هؤلاء (المتخوفون): حتى لو افترضنا أن أبو عمار غير مقدم على تنازلات فورية في الأسابيع والأشهر القادمة، ألن يكسب بحواره معكم، دون أن تحصلوا أنتم على أي شيء؟... أليس هناك احتمال أو خطر أن يوقع معكم على اتفاق جيد ترضون به ثم كما هي العادة لاينفذ أي تعهد التزم به أمامكم.. هل لديكم ضمانات بأن عرفات سيبرّ هذه المرة بوعده..؟

وبصراحة نقول إن كل هذه التخوفات مشروعة تماماً وخصوصاً أنها تستند على عدد من الأمثلة والسوابق الموجودة في تاريخ العلاقات الفلسطينية - الفلسطينية... ومع ذلك فالجبهة الشعبية ترى أن السياسة لاتُبنى على تخوفات فقط، بل على وقائع وتحليلات.. والذي يغلّب تخوفاته سيبقى يراوح مكانه بينما الحياة ستظل تسير.. أما بالنسبة للضمانات فتعترف الجبهة بأن لاضمانات لديها.. لكن هذا لايعني أنها تحت رحمة الطرف الآخر. فهي تقول إن مشروعها الجديد القائل بترتيب البيت الفلسطيني وتوحيد قواه قد يتحقق وقد يفشل.. فإن نجح هذا التوجه الجديد فهذا انجاز كبير لشعبنا وقضيتنا، أما إذا فشل فالجبهة لن تخجل أو تخشى من الاعتراف بذلك، بل ستصارح به الجميع وأولهم جماهيرها وستترك لها الحكم على من يتحمل المسؤولية..

مواقف لابد من التأكيد عليها:

* من ضمن التخوفات التي تُذكر أن الجبهة الشعبية بعد حوارها مع «فتح» ستتخلى عن موقفها المعارض لأوسلو.. هنا نقول إن الجبهة أكدت قبل الحوار وبعده على رفضها القاطع لأوسلو رغم اعترافها بانه قد نشأت حقائق على الأرض الفلسطينية بعد أوسلو لايجوز لأحد تجاهلها، والاعتراف بهذا الواقع لايعني التسليم بأوسلو ومنحه الشرعية، بل ولايتعارض مع محاولات رفض هذا الواقع لتغييره.

* حين تقول الجبهة إنها تحاور اللجنة المركزية لحركة فتح وليس السلطة، فإنها تشدد على هذا التمييز، ففتح تظل فصيلاً وطنياً تشاركت معه الجبهة الشعبية في م.ت.ف على امتداد الثلاثين عاماً الماضية.. كذلك في «فتح» توجد تمايزات وتلاوين سياسية لانشاهدها في السلطة التي تظل الإبن الشرعي لاتفاق أوسلو.

* تنطلق الجبهة الشعبية في رسم سياساتها من قاعدة بسيطة بقدر ما هي راسخة، تقول إن السياسة بمعناها العام تتضمن ثوابت ومتغيرات.. الثوابت هي الأهداف البعيدة التي لاتسقط لا بالتقادم ولا بالهزائم، بل تظل متوهجة بانتظار التحقق كشعار (تحرير فلسطين كل فلسطين)، أما المتغيرات فهي الآليات والخطط والسبل السياسية الموصلة لهذه الأهداف.

* ستبقى الجبهة الشعبية في صف المعارضة حتى لو توصلت لاتفاق مع حركة فتح على توحيد الساحة الفلسطينية كلها (أو أغلبها).. ووجود الجبهة في المعارضة لاتمليه مجرد رغبة في الاعتراض بل تفرضه قناعة الجبهة بخطها السياسي وإدراكها أن البعض يغلّب التكتيك على الإستراتيجية، بعكس آخرين يرفضون أي تكتيك بحجة عدم المساس بالهدف الاستراتيجي.

* لاتجد الجبهة الشعبية غضاضة أو حرجاً من الاعتراف بعجز المعارضة عن إسقاط أوسلو أو محاصرته وهذا الاعتراف يتضمن نقداً ذاتياً.. من هنا تملك الجبهة من الشجاعة ما يجعلها تقول إنها بحوارها مع فتح تراجعت خطوة بهدف الإلتفاف على العقبة التي لم تستطع تجاوزها، لتتمكن لاحقاً من التقدم للأمام خطوات...

في ظل هذه الظروف الصعبة التي لاتنفك تنضح يأساً وإحباطاً يبدو جلياً أن ما يريده الشعب الفلسطيني بسيط للغاية وهو يتلخص في استعادة الأمل.. الأمل في انه كما السابق قادر على فعل شيء يعيد لروح المقاومة حرارتها واتقادها ■■

أسئلة مشروعة.. وصراع طويل الأمد

أبو علي مصطفى
نائب الأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

الجواب ليس سهلاً مثلما هو السؤال، ولن يمكننا الوصول إلى جواب شافي ما لم نبرع في قطع العقد، أو حلها، والعقد التي أنوه لها هي من تداخل وقائع تفننت اليد الأخرى في رميها بوجه الجميع ليعيشها كما هي وليس ليحلها من تداخلاتها الشديدة، وهي مشاغلة وضعها من وضعها كي يصبح الجهد والهم والاهتمام خارج سياسة الإنتظام والعمل على المشروع الوطني برمته.

نحن لانغالي ولا نعذب الذات، أو نمارس سادية نقدية، عندما نقر بالأزمة، فهي حقيقة واقعة «وهي فترة حرجة أو حالة غير مستقرة تنتظر حدوث تغيير حاسم، كما هي هجمة مبرحة من الألم يصيبنا بالكرب والخلل الوظيفي».

إن واجهنا النفس بما فعلت فعلينا القول بجرأة إن ما أصابنا هو اختلالات أولاً في النهج السياسي، بما يعنيه من نظم لوحدة الرؤية السياسية لمشروع الآخر، وتوليف الذات لإدارة صراع ناجح، وانتظام الحال (البنية) بما يترتب عليها من استحقاقات نضالية.

بكل الأحوال لا أقصد من هذا المدخل، التوقف عند عنوان محصور بالخاص، بل إن الهدف وما سبق الإشارة إليه يتولد من طرح الأسئلة الملحة على الجميع، أسئلة تدعو للتحرر من الاعتبارات الجزئية أو الخاص إلى رحاب العام الوطني وأولوياته.

إذ لم يعد من الجائز أن يبقى الحوار، أو القراءة للحدث تدوران على حال القصور عن الرؤية الأشمل للصراع، بحيث تنحشران في دوامة الآخر وملاعبه، هو يفعل ونحن نقوم برد الفعل، هو يفاوض، ونحن نقول «بوقف المفاوضات إلى حين كذا.. وكذا»، هو يقول بالجزء كاستراتيجية، ونحن ندعو لتحسين حال الجزء؟ لاندري ماهية الدولة.. وأي دولة؟ ونحن نتوه في الأسئلة، وكذا الحال عندما نهرب إلى الأمام من القضايا الأساسية إلى الفرعيات.

إن إعادة الإعتبار لمحددات الصراع مع العدو الصهيوني، برؤيا سياسية ثاقبة تربط بإحكام بين الخاص والعام، بين التكتيك والاستراتيجية، بين المرحلي والأهداف القصوى بدون أن ينتهك أحدها الآخر، بقراءة الواقع من أجل العمل على تغييره، وليس من أجل الخضوع لمعطياته ووقائعه، هي المسألة ومنها ننطلق إلى الأسئلة التي كل سؤالٍ منها يلد ما يليه وما يليه يلد



الأسئلة المشروعة. والصراع طويل الأمد: في السنوات الأخيرة من عمر الحركة الوطنية، الفلسطينية وتحديداً ما بعد اتفاقات أوسلو وما تلاها اختلت كثير من المعايير بقراءة الحدث، سواءً بما أصاب العمل الوطني والأهداف، والحركة الشعبية من اضطراب، وتوتر وانقسامات سياسية حادة، أو من ارتباك في الحال العربي الرسمي والشعبي.

والسؤال اليوم وبعد هذه السنوات من الإنقسام والتموج، والمشاركة في خضم الحياة بكل ما فيها من زلازل إن كانت بدرجات خفيفة أو قوية، إلى أي حال أصبحت فيه الحركة الوطنية الفلسطينية، وما الذي أصابها من الإضطراب، أوالتوتر أو الإرتباك؟

الآخر.

ونبدأ بالأسئلة من حيث هو التناقض الحاسم، الأساسي والرئيسي، وقل ما شئت في وصفه، هل يمكن للشعب الفلسطيني أن يحظى بالوطن (بالمعنى الاستراتيجي) وحقه المشروع في العيش فيه ككل الشعوب التي حظيت بحريتها واستقلالها بدون إدامة صراع مديد، يمتلك فيه كل مقومات إدارة الصراع ومراكمة متدرجة في توليف ميزان قوى يكسر الحلقات الكبرى في المشروع الصهيوني؟ بل وهل يمكن للشعب الفلسطيني أن يحظى بالأقل من كامل الوطن وكامل الحرية والاستقلال الوطني الناجز، بدون ذلك؟ وهل من الضرورة الوطنية بمكان أن يصبح الأقل هو الهدف؟ وثمنه يكون الأكثر من الوطن؟

لا آتي بالجديد في الإجابة الحاسمة التي تضمنتها أدبياتنا سواءً البرنامجية أو الوثائقية، وآخرها الوثيقة (المشروع) المقدمةللمؤتمر الوطني السادس.

ومسألة الصراع ليست من السهولة بحيث يقرر بإنهائها طرف واحد ما لم يكن قد انتصر نهائياً وحقق كامل مشروعه، واستسلم الآخر نهائياً وتنازل عن كامل مشروعه.

إلا أن سؤالاً آخر يحضر فور الإجابة الحاسمة بإدامة الصراع وبامتلاك مقوماته. هل يمكن للشعب الفلسطيني لوحده أن يحسم في هذه العملية الكبرى على ما فيها، من تاريخية، أو حالة إقليمية ودولية.

بل وعلى ما يحتويه مشروع الآخر من دلالات استراتيجية شاملة؟ أم أن الأمر يتسع ليشمل الأمة بكاملها؟ وهل المسألة هنا تكمن في أخلاقية الإلتزام تجاه القضية والشعب والمقدسات ومكانة فلسطين، أم هي رؤيا استهدافات المشروع الصهيوني على مكانة الأمة حاضراً ومستقبلاً، وجوداً ومصالح؟

أيضاً أكرر (وليس في التكرار ضرر)، بالقول أن ما أتت به أدبيات الجبهة وبرنامجها أجابت إجابة حاسمة على هذا السؤال الكبير، إلا أن ذلك المفهوم تنقصه الأداة الموحدة لطاقات الأمة من أجل امتلاك قدرة على إدارة صراع ناجح، تتوفر الفرصة فيه لأداء وأداة تحملان قدراً عالياً من الجدارة، كي نستحق كسب الصراع.

خمسون عاماً من المقاومة والممانعة في قبول «إسرائيل» ،مركز المشروع الصهيوني الأول، وفرصته نحو الإنطلاق للمساحة الأوسع، لم تكن سدى، بل هي قد تكون بدرجة ما أسهمت في سقوط ثلاث مقولات محددات في المشروع الصهيوني:

- يهودية كل يهودي مرهونة بالهجرة إلى

فلسطين «إسرائيل» حسب قولهم.

ـ أرض بلا شعب لشعب بلا أرض (نفي الهوية الفلسطينية).

ـ التمدد السياسي والاقتصادي والأمني في المساحة العربية.

إلا أنها أيضاً خمسون عاماً من الاخفاق والفشل، بل وتكرار الهزيمة وتمددها إلى مساحة الفعل والوجود.

السؤال الذي ينشأ عن هذا الإيجاز، هل الفشل والإخفاق وتكرار الهزيمة تؤدي إلى مقولة: «ما لم نربحه بالحرب نربحه بالمفاوضات»؟! وهل المفاوضات مع العدو الذي يقيم على كل أرض فلسطين، بل وعلى جزء من الأرض العربية متشبثاً بأساساته الصهيونية التي بدأ منها مشواره الطويل ستؤدي إلى نيل حقوق؟

حقائق الحياة وموضوعية الصراع وأساسية التناقض بوصفه تناقضاً تناحرياً ومصيرياً، كلها تقول لا وألف لا.. وإن هذا الطريق عدا عن كونه يكرس حقيقة إجازة ما فعله العدو كازلية فهو طريق خطر لاتقرر فيه بلاغة الخطابة، ولا الحق والباطل.. والعدالة واللاعدالة، بل إن ما يصنع الحقيقة الناصعة لصالح الحق، هو بفعل ميزان قوى، لايتحقق بدون منظومة عمل طويلة من الإشتباك والمراكمة، تؤدي إلى كسر الحلقات في مشروع العدو.

وبالتالي إن الميل إلى لغة تحسين مفاوضات، أو شروط مفاوضات، هو عدا عن كونه لغواً ورهاناً فاشلاً بسبب طبيعة العدو من جهة، ولعجزنا المجرد من كل شيء (ما عدا الحق) من جهة ثانية.

فهو (أي التفاوض) ينطوي على ميل لإعطاء العدو مكانة الطرف الآخر المقبول، بغض النظر عن النوايا من وراء كل سياسة.

والحال الفلسطيني ـ العربي في الصراع مع العدو الصهيوني، لاينطبق عليه أمثلة عديدة عايشتها حركات التحرر أو شعوب أثناء سعيها لنيل الاستقلال/ لا هي حال الجزائر في مفاوضات إيفيان، ولا هي حال اليمن في مفاوضات لندن ـ عدن. ولا هي جنوب أفريقيا وتجربة مانديلا الرائدة، وكذلك ليست تجربة شعب فيتنام أثناء حرب التحرير، كما ولا هي مثال صلح برست، التي كان هم لينين وقيادته الثورية آنذاك ترسيخ مكانة ثورة أكتوبر في روسيا.

إن المصير هنا ليس بين حدين يتراضيان على اقتسام وطن، أو نمط تجاور معين لدولتين، إذا لم تنظمه دولة فلسطين الديمقراطية الواحدة (مثال جنوب أفريقيا) سيبقى على حد واحد، وهو حد النفي.. أما شعب محرر مستقل على كامل وطنه، وبكامل حقوقه التي نصت عليها المواثيق الدولية.. وأما بقاء سيف المشروع الصهيوني بجاهزية الآلة العسكرية الاستراتيجية، والاقتصادية الناجحة الطامحة، وهنا يفعل الإيمان والإرادة دورهما في الخريطة السياسية والديموغرافية في الحاضر والمستقبل.

ليس علينا أن نشرح كثيراً في هذا الأمر، فيكفي أن نأخذ مثالاً من وقائع اقترنت بمسار مدريد، ثم أوسلو وما بعدها، ليتبين للجميع مدى بؤس اعتبار أن التفاوض مع العدو، هو الطريق لنيل الحقوق! بل أنه كان وأصبح طريق تكريس الإعتراف بالعدو، وفي نفس الوقت تدمير الحقوق، بينما النموذج المقاوم الفلسطيني أولاً، العمل المسلح والإنتفاضة لاحقاً كان مجدياً تراكمياً على طريق نيل الحقوق وحفظ الثوابت، وكذلك حال نموذج المقاومة اللبنانية حالياً، وما فعلته من إشكالات تصل إلى حد خلق كتل تناقض في داخل مجتمع العدو، والأمر لايعدو أن يكون ملخصاً بقول: من يستخدم الزمن ويكسبه ويثمره لصالحه هو الرابح.

الحقوق ومفاعيل الشرعية الدولية:

إذاً والبعض يقول بالشرعية الدولية طريقاً للخلاص، فهل هي كذلك فعلاً؟ طريق للخلاص أم هيَ مجال خطاب اعتراضي، على الانحياز والوحدانية بالمرجعية والانفراد؟

والجدال حول مكانة قرارات الشرعية الدولية ومؤسساتها تزايدت، وهي التي أعطت الكيان الصهيوني الكثير، ولم يحظ منها الشعب الفلسطيني حتى بالقليل فعلياً رغم أن رزمة القرارات المرتبطة بالقضية أصبحت كبيرة، وهكذا تدهورت مكانتها على نحو أكثر فداحة، بعد سيادة لغة العولمة ووحدانية القوة الأعظم، إلى الدرجة التي أصبحت فيها مفردة ازدواجية المعايير تكبر وتتدحرج ككرة الثلج عند كل منعطف سياسي في الباحة الدولية أو الإقليمية وهكذا أخذت مكانها في الحالة الفلسطينية خاصة بتراجعات فادحة وبكل ما فيها من نواقص وشوائب (أساسها إعطاء العدو مشروعية الوجود). إلى أن وأدت قيادة م.ت.ف المتنفذة بخطها السياسي المتخلي عن قرارات الشرعية الدولية ومحاصرة الذات وبالقرارين ٢٤٢،٣٣٨ وهما القراران الأكثر بعداً عن القضية وتفاعلاتها (بالمعنى النسبي) عن أية قرارات تتعلق بالقضية الفلسطينية منذ عام ١٩٤٨. وبذلك تخلت عن الرزمة بكاملها لصالح قرار واحد وفقاً لاشتراط عقد مؤتمر مدريد ١٩٩١.

وإذا ما حاجج البعض بأن الشرعية الدولية تعني كل القرارات، وكلها تقوم على الإعتراف بحق إسرائيل في الوجود. فهي حجة صحيحة إلا أن ذلك لايعني بالضرورة عدم التمييز بين قرار وآخر مثال قرار الجمعية العامة حول الصهيونية، وقرارها عام ١٩٧٥ حول حقوق الشعب الفلسطيني. ومع ذلك لايطغى الاستثناء على المظهر العام.

هل هذا القول يعني أن لانستخدم في خطابنا السياسي مسألة الإلحاح على تنفيذ قرارات الشرعية الدولية، المتعلقة بالقضية الفلسطينية منذ عام ١٩٤٧. مع وعينا أن أهل أوسلو تنازلوا عنها لصالح قرار اشتراطي وهو قرار (٢٤٢)؟

نعم هنا للأمر وجهان، وجه يدعو لاستخدامها في خطابنا السياسي في مقارعة الهيئات الدولية والرأي العام العالمي، وكذا الحال في لحظات سياسية معينة كحالة اعتراض بهدف كشف عجز هذه الهيئات عن تنفيذ قراراتها، ومنذ عقود وخاصة قرار ١٩٤ المتعلق بحق عودة اللاجئين الفلسطينيين إلى ديارهم التي شردوا منها. والوجه الثاني الذي يقول بتبنيها لاستخدام فرصة زمن تقوم على إدامة الاشتباك مع «إسرائيل» سياسياً متسلحين بهذه القرارات، باعتبارها الحد الممكن في ظل مرحلة وميزان قوى معين، أملاً بزمنٍ قادم.

إذن الحصيلة تبقي السؤال مفتوحاً على ماذا يرسو تكتيكنا في هذا الباب؟ برأيي أن لاتكون قرارات الشرعية الدولية أساساً لسياسة استراتيجية، بل عنصراً في تكتيك مرحلي. وفي نفس الوقت اعتراضاً على محاصرة القضية بقرار (٢٤٢).

الوحدة ما بين الهدف والأداة:

والآن انتقل إلى الباب الثاني، وأبدأ بسؤال عن المقدس، هل هو القضية الوطنية؟ أم الأداة والوسيلة؟

في البداية أدعو لعدم استغراب السؤال، أو قلب الشفاه ربطاً ببداهة الجواب، فالحياة السياسية الفلسطينية وما أصابها من هزال أربكت من لم يرتبك، وأصبحت البداهة تحتاج إلى وحدة، فمن كثرة الحديث عن الأداة، بات من الملح أن نحدد أولاً ما هي وكيف نعرفها وقبل ذلك لمن القدسية؟

بالبداهة أن القدسية هي للقضية التي ناضلت وضحت من أجلها أجيال فلسطينية وعربية، وفي سبيل صونها كحق مشروع، بذلت من أجلها الدماء من أجيال متعاقبة، وتحت مسميات كثيرة ولذات الهدف، من المؤتمرات الوطنية في العشرينيات، مروراً بجمجوم وحجازي والزير وصولاً إلى ثورة القسام، ثم أعوام ١٩٣٦-١٩٣٩ والهيئة العربية العليا، والجهاد المقدس وجيش الإنقاذ وحروب الجيوش العربية، المهم كانت دائماً الحاضرة في المكان والزمان هي فلسطين.

في العقود الأخيرة نجحت الإرادة الكفاحية الفلسطينية، في إبداع الشخصية

الوطنية كمحدد للهوية الوطنية وإطارها الإئتلافي وميثاقها الوطني وبرنامجها الكفاحي ألا وهي م.ت.ف، والتي أصبحت حكماً بواقع النضال بكل أشكاله، المعرف المعنوي الإعتباري لوحدة الشعب ونضاله وقضيته.

إلا أن الانتكاسة الكبرى التي توجت بأوسلو واستبدلت الإطار بغيره (الحكم الذاتي والسلطة) بل وبددت الإطار كموحد ومعرف للشعب الفلسطيني وأهدافه الوطنية أصبحت تنطوي على التباس، باتت الأمور ملتبسة، فتارة يثور سؤال: أين هي المنظمة؟ وأخرى يكون السؤال عن أي منظمة تتحدثون؟ وثالثة أي منظمة تريدون؟ ومن الطبيعي أن تكون هذه الأسئلة مثار سجال نادراً ما يعطي إجابات واضحة، ومبررة، وأحياناً يكون عدم الوضوح من واقعة الالتباس والملتبس في السياسة والممارسة.

نعم إن مصادرة اسم م.ت.ف واستعمال مكانتها (التي بقيت) اسماً كوصف لحال، وليس اعترافاً بحقوق (هكذا فعل العدو) في المواقف والسياسات المتنازلة/ مثال ما وقع بدورة المجلس الوطني (نيسان ١٩٩٦) من أجل تلبية الطلب الإسرائيلي بصدد إلغاء الميثاق الوطني.

بل وأكثر من ذلك اندغام واقع الحال بالسلطة التي باتت تبني بديلها السياسي والإجتماعي من ضرورة متطلبات السلطة وعلى واقع المكان (في أجزاء من الضفة والقطاع (وفقاً للإتفاقات)، أصبح كل هذا يتطلب الجواب، وليكن جوابنا أن الأداة تكون أداة وطنية بمقدار التزامها بالمشروع الوطني الذي قامت من أجله، وبمقدار حضورها كناظم سياسي اجتماعي لعموم الشعب، وفي كل أماكنه، وبهذا المعنى نحن مطالبون أن نحدد وبوضوح أين هي مؤسسات م.ت.ف؟ هل هي المهمشة، المغيبة في غالب السنين؟ أم هي منظمة الميثاق والبرنامج والإئتلاف الوطني؟ الذي هو إن تحقق لايمكن أن يكون بنفس الأطر والتشكيل السابق بسبب من الإنقسام السياسي من جهة، وكون المؤسسات الحالية لم تعد معبرةً عن الواقع الفلسطيني وعن مصالح الشعب الفلسطيني من جهة ثانية.

الوقت والتطورات والاحتمالات لم تعد تسمح ببقاء المؤسسات على حالها القائم والذي لم يعد مبرراً بداية من المجلس الوطني، كما لم يعد مفهوماً الحديث عن الإصلاح في م.ت.ف بدون تجديد، بل الأمر أصبح يحتاج إلى حوار وسياسة فعل ومراكمة باتجاه إعادة البناء ومن جديد، على رصيد المنجز الوطني الموحد للشعب في الوطن والشتات، والحافظ لنضالاته وأهدافه المرحلية والاستراتيجية.

قد يقول سائل كيف؟ ومن حقه السؤال، لأن الوضع الناشئ عن الإنقسام السياسي لايعالج بفوقية تتجاهل التعقيد الحاصل، ولتجنيب أنفسنا ومشروعنا أحد نزعتين مضرتين: الأولى التي تكتفي بإعلان القرار من فوق بدون مقدمات ضرورية تاخذ بالإعتبار الحالتين الفلسطينية والعربية، وأساساً القدرة الذاتية لحمل مسؤوليات م.ت.ف، والثانية نزعة إدارة الظهر للمنظمة كثمرة إنجاز وطني فلسطيني وكأنما لم يكن هناك للثورة المعاصرة من عنوان ولا مرجعية ولا إنجازات.

إلا أنه ورغم التعقيدات لابد من الحسم في مسائل محددة،

أ - التأكيد على البرنامج الوطني، والإئتلاف.

ب - التجديد بدءاً من المجلس الوطني الفلسطيني وعلى أسس جبهوية ديمقراطية.

ج - الفصل عن مؤسسات السلطة والتزاماتها.

وبداية إتباع سياسة تراكم نحو إعادة الإعتبار للمرجعية الوطنية الفلسطينية، كي تكون تمثيلاً حقيقياً لكل فئات وقطاعات ومواقع الشعب الفلسطيني.

وفي حال بقي الأمر على ذات المنوال، أي الحديث التقديسي عما هو قائم، سيكون على حساب ما هو وطني وجمعي لكل الطاقات الشعبية، وكأنما نحن في زمن لايوجد فيه من حلول سوى هذا التقديس، فالمسألة تكون عندها عرضة للتبديد، بدلاً من الانحياز لصالح القضية التي ضحى من أجلها الشعب الفلسطيني وأبناء الأمة العربية، وأية تعارضات تحل من على قاعدة الإلتزام بالقضية أولاً وأخيراً دون إغفال أهمية الأداة والإطار كمشروعية وحدة سياسية يجمع عليها الشعب الفلسطيني في الوطن والشتات.

إن الخسائر الفادحة التي أصابت الشعب الفلسطيني وقضيته في الأونة الأخيرة من خلال تدمير ثلاثة مرتكزات نضالية:

١ - الانتفاضة الشعبية الفلسطينية.

٢ - الائتلاف الوطني الأوسع.

٣ - المرجعية الوطنية الجامعة لوحدة الشعب.

هي التي تدفعنا لرفع شعار إعادة البناء لمؤسسات منظمة التحرير الفلسطينية وإعادة الاعتبار لمكانتها وميثاقها وبرنامجها.

خاتمة:

وارتباطاً بالتحليل الذي بات يلمس المسائل عن قرب وبالمشاهدة تجاه التسوية التصفوية الجارية، وبعد أن بانت عوراتها، فالسؤال هل بقي من أمل عند أحد أن يكون الحل ونيل الحقوق عن هذا الطريق؟ أم أن التحرر من الاحتلال لايكون إلا بالنضال وبكل أشكاله (سياسي - جماهيري - عنيف)؟

نعم إن موضوعية التناقض التناحري وطبيعة العدو وسياساته لاتسمح لأحد مخلص أن يتوه بل أن المسألة باتت تستوجب إعادة الإعتبار لمكانة الكفاح على كل الصعد وبكل الأشكال، والكف عن الدعوات الصالحات عن السلام العادل والشامل حيث لاسلام ولا عدل مع العدوان الصهيوني ومشروعه الحاضر واللاحق.

والذي يطمح لدولة مستقلة وذات سيادة، وحق عودة وتقرير مصير عليه أن يدرك أن نيل هذه المطالب لايتم إلا بهزيمة العدو، بتوليف فكري، سياسي، تنظيمي، نضالي بالأداة الشعبية القادرة على حمل مهام مشروع وطني، وبأداء يستجيب للأهداف النبيلة.

ثم يتولد عن هذا وفي البداية سؤال، وهل من فرصة لانتفاضة متجددة تعيد الاعتبار للاشتباك مع العدو على مساحة جماهيرية/ سياسية، أمنية اقتصادية واسعة؟ أقول نعم وممكن إذا ما أخذت الوحدة على سياسة وطنية طريقها نحو الحركة الشعبية. ولذلك شروط أولها التوقف عن ممارسة سياسية ملتبسة تدور بأقدامها في ملعب التفاوض مع العدو، أو تغرق في مناقشة مناوراتها وهي كثيرة بينما المسألة الملحة تكمن في توليف البنية التنظيمية والشعبية وتصويب السياسة، وأي ميل لبقاء الحال الراهن لن يجدي، بل أن هكذا حال يديم ميزان قوى على الأرض لصالح استمرار الاحتلال.

والآن بات من الملح التقدم في قيادة الاشتباك مع المحتل أولاً ومقاومة لاءاته. وعليه تنتظم القوى وتبنى السياسات وتقوم للمشروع الوطني قائمته بعد موات وركود، ويجري تجاوز الحال من مفردة معارضة إلى مكانة متقدمة كحاملة مشروع وطني متكامل الرؤيا والأبعاد.

كما وبات من الملح العمل على تجسيد الوحدة السياسية للشعب الفلسطيني في الوطن والشتات، وحفظ مكانة ودور أهلنا في المحتل من فلسطين عام ١٩٤٨/ وصلتهم بالقضية والمشروع الوطني.

ثم ننتقل أو بالربط مع/ إلى سؤال: كيف نحفظ للخصوصيات الفلسطينية مكانتها في إطار الناظم الوطني، وبعده القومي؟

إن العمل الثوري في تفاصيله اليومية لايمكن أن يتقدم ويحفظ للمرحلي مكانته السليمة، إن لم يكن محمياً بأفق استراتيجي، والقيمة الأساسية لعملية تراكم، هي كونها تصب بنهاية المطاف، في مصلحة الأمن الاستراتيجي، تحرير كامل التراب الوطني الفلسطيني، وفي سبيل إقامة دولة فلسطين الديمقراطية ■■

بيان صادر عن المكتب السياسي للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

يا جماهير شعبنا الفلسطيني

تمر القضية الفلسطينية في الظروف الراهنة بمرحلة دقيقة وحاسمة، ويواجه الشعب الفلسطيني في مختلف أماكن وجوده استحقاقات سياسية كبرى تمس حاضره ومستقبله ومصير أجياله.

وعلى ضوء مجمل الظروف والتطورات السياسية المحيطة بنضال شعبنا عالمياً وإقليمياً وعربياً وفلسطينياً، توقف المكتب السياسي للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين أمام مجمل هذه التطورات والتحديات التاريخية الكبرى التي تواجه شعب فلسطين وعلى كل المستويات مؤكداً على مايلي:

أولاً: إن المشروع الأمريكي الصهيوني المراد فرضه في المنطقة، يستهدف بالدرجة الأساسية تصفية القضية الفلسطينية وتبديد الحقوق الوطنية والتاريخية للشعب الفلسطيني، كما يستهدف الأمة العربية ومصالحها ومستقبل أجيالها وبما يحقق الهيمنة والسيطرة لصالح إسرائيل ومخططاتها الإستراتيجية العدوانية.

ثانياً: إن مسيرة السنوات الماضية التي أعقبت توقيع اتفاقات أوسلو برهنت بما لايدع مجالاً للشك أن خيار أوسلو وطريق التنازلات والاعتراف بحق إسرائيل في الوجود وإلغاء الميثاق الوطني لـ م.ت.ف لم تكن حصيلته سوى تحقيق المزيد من أهداف المشروع الصهيوني في المنطقة، ولم يؤد هذا الطريق إلى انتزاع حقوق شعبنا الأساسية، بل كانت نتيجته العملية تهديد الوحدة السياسية للشعب الفلسطيني وتفتيت م.ت.ف كممثل للشعب الفلسطيني وكهوية وطنية وإطار جامع لوحدة الشعب في الداخل والخارج.

ثالثاً: إن الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وانطلاقاً من رؤيتها لحجم المخاطر الكبرى المحدقة بالقضية الفلسطينية، وعلى ضوء قناعتها وإيمانها بأن التناقض الرئيسي هو مع العدو الصهيوني، وأن التصدي له وعلى كل المستويات هو المهمة المباشرة والجماعية للشعب الفلسطيني، فإنها تدعو إلى إجراء حوار وطني شامل بين جميع القوى والتيارات السياسية في الساحة الفلسطينية من على قاعدة التمسك بالحقوق الوطنية الثابتة لشعبنا وفي المقدمة منها حق العودة وتقرير المصير وإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس.

رابعاً: إن صيانة حقوق شعب فلسطين وحماية وحدته ومستقبله ومصيره يتطلب ضرورة التمسك بمنظمة التحرير الفلسطينية وميثاقها وبرنامجها كإطار وطني جبهوي ديمقراطي تحرري على طريق إجراء انتخابات حرة ونزيهة لعضوية المجلس الوطني الفلسطيني، في مختلف تجمعات شعبنا في الوطن المحتل وخارجه وبما يضمن تمثيله لكل القوى والإتجاهات السياسية.

خامساً: على ضوء هذه الرؤية فقد قرر المكتب السياسي تشكيل وفد بمسؤولية نائب الأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين الرفيق أبو علي مصطفى لإجراء حوار مع اللجنة المركزية لحركة فتح، بهدف تمهيد الطريق لحوار وطني فلسطيني شامل لتوحيد طاقات شعبنا وإمكانياته على أساس التمسك بالثوابت الوطنية والقومية لتحقيق اهداف شعب فلسطين والأمة العربية.

يا جماهير شعبنا المكافح

إن الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين إذ تسعى بكل ما تستطيع لدرء المخاطر عن قضية شعبنا المقدسة وحقوقه التاريخية الثابتة، فإنها ستبقى على العهد والوفاء لدماء الشهداء وستواصل الطريق مهما كانت الشدائد والمحن.

دمشق ١٩٩٩/٧/٢٨

المكتب السياسي

بيان صادر عن المكتب السياسي للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

في أعقاب انتهاء الجولة الأولى من الحوار المنعقد في القاهرة يوم الأول من آب ١٩٩٩ ما بين وفد اللجنة المركزية لحركة فتح ووفد من المكتب السياسي للجبهة الشعبية، عقد المكتب السياسي اجتماعاً تقييمياً لدراسة نتائج جولة الحوار تلك ورسم السياسة اللاحقة لمواصلة العمل بروحية المبادرة التي أطلقتها عام ١٩٩٦/ ثم حوار ١٩٩٧ في الوطن المحتل كما المساعي التي تمت في عام ١٩٩٨ لترتيب لقاء حوار ثنائي في القاهرة، وتعطلت بسبب اتجاه السلطة لعقد اتفاق واي ريفر، وفي ضوء المستجدات السياسية، جددت الجبهة الشعبية مبادرتها للحوار.

عليه يرى المكتب السياسي التالي:

أولاً: إن النتائج المحققة في الجولة الأولى للحوار إيجابية ومشجعة، من على قاعدة الإلتزام بما ورد في البيان المشترك الصادر في ١٩٩٩/٨/٢.

ثانياً: كما يرى أن الحكم على النتائج سيكون في ضوء تحويل النقاط الواردة فيه إلى ممارسة عملية، خاصة وأن الجماهير الفلسطينية في الوطن والشتات تراقب مدى مصداقية العمل وبالجدية المطلوبة بالخطوط الواردة.

ثالثاً: وإذ يعتبر المكتب السياسي أن نتائج تلك الجولة هي تمهيدية وخطوة أولى بالإتجاه الصحيح، فإنه يرى ضرورة التواصل بوضع التصور والآليات للخطوات اللاحقة، خاصة بشأن تفعيل وتطوير مؤسسات منظمة التحرير الفلسطينية على أسس جبهوية وديمقراطية وفي المقدمة منها انتخاب (و/أو تشكيل) مجلس وطني فلسطيني جديد.

رابعاً: إنه ليؤكد علىأن الدعوة للمشاركة الجماعية ومن كل الوطنيين في هذا الحوار، ليصبح حواراً وطنياً شاملاً، بهدف صون وحماية المشروع الوطني ومنظمة التحرير الفلسطينية كمنجز وطني للشعب الفلسطيني.

خامساً: إنه ليؤكد أن مدى النجاح مرهون بوضع خطة عمل وطنية فلسطينية أساسها تحشيد الجماهير الشعبية الفلسطينية، للإرتقاء بالعامل الوطني الفلسطيني، على طريق مقاومة الاحتلال والتصدي لسياساته، والعمل علىتحقيق الأهداف الوطنية وفي مقدمتها حق العودة وتقرير المصير وإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة بالسيادة الكاملة وعاصمتها القدس.

في ذات الوقت يؤكد المكتب السياسي على سياسة الجبهة الشعبية من قضايا أساسية سبق وأن عبر عنها برؤيا وموقف منها، كما أكد عليها في جولة الحوار الأولى كنقاط خلاف، وهي السياسة التي ترفض اتفاقات أوسلو التنازلية وما تبعها من تفريط، كما لاتقبل الإعتراف بالكيان الصهيوني وتعتبر الصراع معه بكل الوسائل والأبعاد صراعاً مصيرياً وتناحرياً وأساسياً، ويؤكد على تمسك الجبهة الشعبية بالميثاق والبرنامج الوطني الفلسطيني.

دمشق في ١٩٩٩/٨/٧

المكتب السياسي

الحوار الوطني الفلسطيني

محاولة لدرء المخاطر الكامنة وتقليل الخسائر المحتملة

أبو علي حسن

عضو المكتب السياسي للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

منذ أسابيع والساحة الفلسطينية تموج بالمواقف والتحركات السياسية التي تعالج موضوع الحوار الفلسطيني - الفلسطيني، وقد كان لقاء وفديّ فتح والشعبية في القاهرة هو الحدث الأبرز والأكثر إثارة على هذا الصعيد، بل أحدث صدمة سياسية لبعض القوى الفلسطينية والعربية وترك ردود فعل متباينة لا تخلو من النقد الجارح أحياناً، والنقد الموضوعي أحياناً أخرى، ومباركة واستحسان من جانب آخر...

ورغم أن هذا الحدث هو خطوة واعية في طريق طويل ومتعرج ولم يتمخض عنها بعد نتائج سياسية ملموسة أو خطوات عملية في سياق السعي لوحدة موقف فلسطيني تجاه القضايا الأساسية المختلف عليها.. إلا أن تداعيات هذا الحدث و ردود الأفعال عليه تقتضي وتستوجب أن نقف أمامه من مستويات مختلفة في محاولة لحوار مع القارئ والمواطن الفلسطيني الذي ما انفك يطرح سؤاله لماذا هزمنا بعد كل جولة من جولات الصراع...؟

أولاً:

لقد شكل غياب الديمقراطية بمعناها الشامل السياسي والاجتماعي والاقتصادي ولا يزال سبباً أساسياً في تحقيق الهزيمة العربية و رسوخها بآثار كارثية تطال بنية تفكير الإنسان العربي... وغياب الديمقراطية كان دائماً يعني غياب الحوار البناء والمسؤول، وغياب الرأي الآخر، وغياب الأفكار السديدة التي قد تكون متناقضة مع المواقف الرسمية.

وعليه فمن البداهة أن يكون مبدأ ومفهوم الحوار مستغرقاً في مفهوم الديمقراطية بمعناها الواسع، وديمقراطية المجتمع تعني أن المجتمع بكافة قواه السياسية والاجتماعية وتياراته المختلفة في حالة حوار وجدل لا ينقطع حتى يبلغ في صيرورته طور الإنتاج والإبداع في حل قضاياه الوطنية والاجتماعية. بينما قيادة المجتمع بالرأي الواحد.. والدكتاتور الفرد تعني ان المجتمع في حالة من الانغلاق والإخفاق وانعدام التوازن، وتبديد الطاقات الكامنة.

ولعل من يدعو إلى دمقرطة المجتمع الفلسطيني ومحاربة الفردية المطلقة عليه أن يدرك مبدأ الحوار كمفهوم ديمقراطي، وأهميته النظرية والفكرية والعلمية، ارتباطاً بما يحققه من حلول ممكنة ومثلى لمعضلات المجتمع وقواه الفاعلة...

فالحوار عملية ديمقراطية حضارية واعية تستهدف دفع طاقات المجتمع بكافة أطيافه وقواه نحو الذروة في الفاعلية والنشاط الحي.. وهو بدون شك لا يمنع الكوارث ولا يوقف الانكسارات في المجتمع أو الهزائم لكنه كممارسة لأوجه الديمقراطية يحد من آثار الكوارث الوطنية والاجتماعية وقد يضع نهاية للتداعي الأسوأ.. وبالنقيض فإن غياب الحوار قد يعني الكوارث المحتمة، أو استمرارها، وترسخ آثارها.

ولا يغيب عن البال ماذا كانت النتيجة لغياب حوار فلسطيني - فلسطيني بين الأحزاب.. في الثلاثينات والأربعينات، وماذا كانت النتيجة لغياب الحوار بين المعارضة والحكومات العربية، وبين حكومات السودان والمعارضة، وبين الفرقاء في لبنان، وبين بغداد والكويت، وبين الجزائر والرباط، وبين عاصمة عربية وأخرى خلال نصف القرن الأخير.. لقد أفضت إلى كوارث وهزائم ومعاناة للإنسان العربي.

ثانياً:

الحوار الفلسطيني ليس غاية بحد ذاته أو رغبة جامحة في ملاقاة طرف لطرف، بقدر ما هي ضرورة وطنية، وضرورة موضوعية، ومطلب شعبي فلسطيني يقول: «لماذا لا تقفوا أمام السلطان وحاشيته مباشرة وتقولوا لهم لقد تنازلتم وفرطتم...! واطرحوا بديلكم... حتى يسمعكم الناس»...

من هنا فإن الحوار عملية واعية تنم عن رؤية سياسية واستراتيجية لصيغة الصراع وأدواته، ومفاصله التاريخية والراهنة... فالصراع مع العدو الصهيوني هو صراع تاريخي وشامل، وحضاري يجب أن يكون العامل الفلسطيني حاضراً وفاعلاً ومقرراً. وأصعب ما يكون على الكسر مما يستدعي تقويمه وتصليبه إبان الكوارث والمراحل الصعبة.

إن أوسلو ليست نهاية المطاف، إنما هي عملية انكسار وانهزام أمام القوة الغاشمة وثمرة لغياب الرؤية الواضحة للصراع... وبالتالي فهي كتسوية للصراع القائم ليست إلا مقدمة للصراع القائم والقادم في سياقه التاريخي والشامل وبأبعاده المختلفة رغماً عن نوايا أهل أوسلو عرب وفلسطينيين وإسرائيليين... مما يعني أن عملية الحوار التي تمت بين وفديّ فتح والشعبية ليست إلا فعلاً سياسياً داخلياً في البيت الفلسطيني.. في سياق هذا الصراع التاريخي ولا يتحمل وصفه أكثر من محاولة لوقف التداعي الفلسطيني نحو أوسلو...

ربما ما زال السؤال عند القارئ معلقاً... ما الذي تريده الجبهة الشعبية من الحوار... وهل هناك بصيص أمل من وراء هذا الحوار...؟

قبل الإجابة على هذا السؤال يحتاج الأمر إلى إيضاح بعض الملابسات:

1- إن المباشرة في الحوار مع وفد فتح لم يكن ثمرة ونتاجاً لضغوط «إقليمية عربية» أو استشعاراً من إحتمال إقدام سوريا على تسوية سياسية مما يدفع الجبهة إلى الإسراع إلى بيت الطاعة قبل فوات القطار...!!

إن هذا التحليل من حيث الرؤية يجهل أولاً حقيقة الموقف السوري من موضوع التسوية، كما فهم خطأ الإشارات السورية لموضوع التسوية المطروحة على أنها تسارع نحو المفاوضات يعقبه أو يوازيه ضغوط داخلية على فصائل المعارضة الفلسطينية...!!

هذه الرؤية التبسيطية تختزل كل تعقيدات وعقبات التسوية المطروحة والمواقف التاريخية والثابتة لسوريا من موضوع الحل الشامل والعادل إلى «طبخة سياسية» هذا التبسيط يذكرنا بالحديث الذي لم ينقطع منذ عام1982 من أن سوريا مقدمه على كامب مورفي...! وها نحن في عام 1999 ولم يحدث كامب مورفي...

ولعل ما يزيد من قتامة الأمر وهزل السياسة أن أطرافاً فلسطينية راحت تتحدث عن إشارات سورية للمعارضة بضرورة التخلي عن الكفاح المسلح وتحثها على العمل السياسي والإعلامي في هذه المرحلة... وتفسرها على أنها نقلة في المواقف السورية... هكذا.... كما ولو أن هذه الفصائل المعارضة تمارس العمل العسكري بجدارة، وجاء الموقف السوري ليوقف هذا العمل العسكري... وهنا كم يبدو إقحام سوريا هزلاً سياسياً.

إن إيضاح هذه المسالة ربما يضفي على حوار الجبهة الشعبية وفتح طابعاً استقلالياً وموضوعياً في إطار الرؤية السياسية الشاملة التي استوجبتها جملة من العوامل الوطنية (مصلحة الشعب الفلسطيني) والذاتية (أوضاع المعارضة)، والموضوعية (عربياً ودولياً)، وما الضغوط الإقليمية إلا أوهام لدى أصحاب المواقف المسبقة...

وبالملموس حينما تفرض المرحلة نفسها بكل وطأتها قسراً على فصائل العمل الوطني المعارضة والمستأنسة بالسلطة... ولا تسمح لها إلا بهامش الحركة السياسية والإعلامية في داخل وخارج الوطن المحتل، وتحصرها موضوعياً في أضيق مساحة ممكنة من العمل الوطني... يصبح الحوار لازمة موضوعية لهذا الحال، ومكوناً من مكونات

النضال السياسي والإعلامي والجماهيري، ومساحة اشتباك أخرى مع الفريق الفلسطيني الذي ما زال متدثراً برداء أوسلو واتفاقاته ومدافعاً عنه.

2-إن مبادرة الجبهة الشعبية بالحوار مع فتح ليست مقطوعة الجذور فهي محصلة لمبادرات سابقة قدمتها علناً وحددت شروط وقواعد الحوار الثنائي والشامل لأجل توحيد الصف على أسس وقواعد أقلها البرنامج الوطني... وقد كانت مبادرتها الأولى في أعقاب نجاح «نتنياهو» في تموز 1996 دعوة صادقة وأمينة لفريق أوسلو لمراجعة الذات والتجربة والوصول إلى قواسم مشتركة.... إلا أن هذه المبادرة قتلت بالمهد لإصرار الفريق الآخر على نهجه... وبعدها توالت المبادرات واللقاءات الميدانية لأجل توحيد الصف الفلسطيني في مواجهة التعنت الإسرائيلي وإملاءات المحتل... وفي ذات السياق حافظت الجبهة الشعبية على مكانها في اللجنة التنفيذية والمجلس الوطني، رغم أن حضورها ما زال مجمداً.

وعليه فإن حوار اليوم لم يكن مفاجئاً للبعض، أو انقلاباً في السياسة والرؤية، أو تخلياً عن البعض، أو عودة لبيت الطاعة، إنما هو محصلة لمسار سياسي متعرج تحكمه ظروف ومعطيات سياسية متغيرة وفي إطار رؤية واضحة للعامل الذاتي والموضوعي ولطبيعة الصراع.

إن الأهداف التالية من الحوار الثنائي ليست إلا أولويات في إطار البحث في جميع الملفات العالقة والموضوعة جانباً منذ سنوات:

الهدف الأول:

أن تكون هناك وقفة مراجعة شجاعة ومسؤولة للتجربة السابقة بكل عناصرها ومكوناتها، بإخفاقاتها ونجاحاتها وبتداعياتها نحو أوسلو وما تلاه من اتفاقات...

لا شك أن قطاعات كبيرة من شعبنا الفلسطيني تتساءل اليوم، ماذا كانت النتيجة بعد ستة أعوام من الخلاف الحاد الفلسطيني-الفلسطيني... وأين أصبح الفرقاء؟ فريق أوسلو ما زال يعيش مأزقاً سياسياً يدفع ثمنه الشعب الفلسطيني نتيجة ولوجه لطريق مسدود، وفريق المعارضة مازال عاجزاً عن ممارسة مشروعه البديل رغم كل المحاولات لأسباب عديدة ذاتية (بنيوية) وموضوعية (عربية ودولية ذات صلة بالتسوية ورؤية الصراع)...

هكذا حال من الطبيعي أن يفرض نفسه على الفرقاء ليدركوا ماذا يعني ضياع السنين من حياة الشعب الفلسطيني دون تحقيق بعض من أهدافه... وأن تدرك ما تركت هذه السنين من بصمات قاسية على روح ووجدان الشعب الفلسطيني في الشتات وفي المخيمات بعد غياب المرجعية والمرجعيات السياسية والكفاحية، لقد تركت معاناة حقيقية في حياة هذا الشعب ومستقبله.

لذا كان هدف الحوار مراجعة لهذه السنين ولهذه التجربة في محاولة لإزاحة كل غبار هذه السنين عن حلم الوطن، وحلم العودة، وقيادة الشعب الفلسطيني في طريق أكثر وضوحاً وإضاءة...

الهدف الثاني:

ارتباطا بالهدف الأول، يكمن الهدف الثاني من الحوار وهو إعادة الاعتبار لـ م.ت.ف رغم كل ما يقال عنها «غير موجودة-مدمرة-مستلبة-مجوفة-مهيمن عليها-فقدت دورها وميثاقها».

لقد شكلت م.ت.ف طيلة المرحلة السابقة مرجعية كيانية للشعب الفلسطيني، وحدت الشعب الفلسطيني وقواه في النضال ضد الغزوة الصهيونية، كما شكلت منجزاً وطنياً كقيادة عليا للشعب الفلسطيني في نضاله المستمر، ومعبراً عن تطلعاته وآماله وحقوقه. ورغم ما تعرضت له من تهميش واستلاب إلا أنها ظلت إرثاً تاريخياً معترفاً به عربياً ودولياً وفلسطينياً مما يحتم على قواها وفصائلها أن تتحمل المسؤولية في إيجاد الصيغة الأمثل لإعادة الروح لها وترميم وتطوير بنيتها باتجاه التفعيل والقيام بالدور المناط بها تاريخياً ووطنياً.. وهذا يستدعي أن تشارك جميع الفصائل في هذه المسؤولية، وأن يتم الفصل بين دور م.ت.ف ودور السلطة الفلسطينية في الداخل باعتبار أن المنظمة هي كيان الشعب الفلسطيني ومرجعيته في كل أماكن تواجده وأن السلطة تدير شؤونها في داخل الوطن..

كما يستدعي الأمر أن يتم تشكيل مجلس وطني جديد ارتباطاً بانتهاء شرعية المجلس الوطني القائم دستورياً وفق النظام الداخلي للمجلس، على قاعدة الانتخابات الحرة المباشرة إن أمكن في بعض الأماكن، والتوافق في أماكن أخرى.. بهذه الرؤية يصبح المجلس معبراً حقيقياً لقوى الشعب الفلسطيني وتياراته السياسية.

هذا الهدف من الحوار لا يجوز التقليل من قيمته السياسية والمعنوية للشعب الفلسطيني تحت طرح مفردات أقرب إلى المسلمات «لا توجد منظمة ولا فائدة».

الهدف الثالث:

لا يتوقف سير الدلائل والوقائع السياسية التي تؤكد أن مفاوضات المرحلة النهائية ليس بالإمكان الانتهاء منها في غضون بضعة شهور أو سنين كون المسائل المتفاوض عليها «اللاجئون-القدس-المستوطنات-الدولة-الحدود-المياه» تمثل ثوابت الموقف الإسرائيلي، وجوهر اللاءات الإسرائيلية، الأمر الذي يضع الطرف الفلسطيني أمام خيارين إما التمسك بهذه الثوابت الوطنية وإما التحلل منها.. فإن تمسك بها فلا اتفاق ولو بعد أعوام.. وإن تنازل عنها، فالنكوص أمرٌ ليس سهلاً أو سريعاً أو ميسراً.. في كل الأحوال هناك مسافة زمنية قد تطول سنوات قبل الوصول إلى اتفاق.

وعليه فإن مسؤولية المعارضة الفلسطينية أن تقيم حواراً جاداً ومسؤولاً مع قيادة فتح لأجل إبعاد السلطة الفلسطينية عن أتون التنازلات المتكررة ومنعها من النكوص عن الثوابت الوطنية في سياق مفاوضات الحل الدائم وهي المرحلة الأصعب والأخطر من حلقات اتفاق أوسلو، والتي قد يترتب عليها مخاطر جدية وتاريخية تطال الرؤية الاستراتيجية لجوهر القضية الفلسطينية.

هذا الأمر يرتب على المعارضة النزول إلى دائرة الاشتباك السياسي والإعلامي والجماهيري المباشر مع أصحاب أوسلو في محاولة لتقليل الخسائر المنتظرة ولدرء الأخطار الكامنة في جوف المرحلة الراهنة، وهذا هدف ودور مسؤول للمعارضة تقتضيه اللحظة السياسية الداهمة..

بيد أن هذا الدور والهدف المنشود لا يعني أن هناك محاولة للتماهي في المواقف السياسية تجاه اتفاق أوسلو ومفرداته.. أو الدخول في دهاليزه وإفرازاته أو اندغاماً في مساحاته. إنما يعني أن هناك مبادرة في توليف رؤية سياسية وقواسم سياسية مشتركة مانعة من الانحدار الأسوأ والأشد خطورة، مع تحصين هذه الرؤية بالمواقف المبدئية من أوسلو وما تلاه.

الهدف الرابع:

فتح الطريق أمام إجراء الحوار الفلسطيني الشامل بين كافة القوى والفصائل الفلسطينية، إن تحقيق هذا الهدف يعني أننا وضعنا الساحة الفلسطينية بمجملها، على سكة جديدة قد تؤدي إلى محطات سياسية ووطنية ليست بالتأكيد محطة أوسلو.. وذلك بهدف استنهاض طاقات الشعب الفلسطيني وقواه السياسية في مواجهة استحقاقات المرحلة وسيادة المفهوم الإسرائيلي للتسوية. والشيء الطبيعي أن يكون الحوار الفلسطيني الشامل من نتائجه وأهدافه أفضل حالاً من الحوار الثنائي.. ولكن الأمر كان يحتاج إلى من يقرع الجرس لخطورة الحال الفلسطيني القائم.. وما يستدعيه من نمط آخر من الفعل والحركة الفلسطينية الداخلية.

بيد أن هذه الأهداف ليست ذات، أو كل، الملفات السياسية والاجتماعية الموضوعة على طاولة الحوار والتي ستستغرق جولات قد تسفر عن قواسم مشتركة في بعضها، وقد لا تسفر إلا عن استمرار الخلاف..

وأخيراً، لعل البعض يراهن على فشل هذا الحوار قناعة منه بأن فريق أوسلو قد قطع شوطاً غير قصير في طريق اللا عودة، وقناعة منه بأن لا فائدة من الحوار مع الذين قتلوا الميثاق..

نقولها كشركاء نضال بالأمس واليوم.. من حقكم أن تخشوا الفشل.. ومن حقكم أن تمتعضوا وتتوجسوا.. وتعترضوا.. لكنه من حقنا أن نقول لشعبنا وشركاء نضالنا وأصدقائنا بأننا في الجبهة الشعبية قد أقدمنا على هذه الخطوة ببدء الحوار على أمل أن نمنع الكارثة، وعلى أمل أن نقلل الخسائر وأن نوقف التداعي، ونحن ندرك أن ليس كل ما نتأمله ونهدف إليه سوف يتحقق، وأن الطرف الآخر سوف يستجيب لأرائنا ونصائحنا بسهولة ويغادر نهجه وموقعه.. ولا يسود أوساط الجبهة مثل هذا الوهم.. ولكن تسودنا قناعة وإيمان حقيقي بأن نغادر مواقع الانتظار ومواقع اللا فعل تجاه مساحات أخرى للعمل الوطني والنضال دون أن نقول لأحد وداعاً.. ودون تفريط في المواقف والمبادئ الثابتة وعلى أمل أن نحقق ما هو من مصلحة الشعب الفلسطيني ■■

تداعيات الحوار بين الجبهة الشعبية وفتح

إلى أصحاب الشعارات الطنّانة الذين لايرون أبعد من أنوفهم!

ناصر أبو العلا

الأصوات التي تعالت هنا، وهناك، احتجاجاً على موافقة الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين على الحوار مع اللجنة المركزية لحركة فتح في القاهرة لاتثير في نفوسنا سوى المرارة والاستهجان.

لماذا؟! لأن تلك الأصوات، التي تعرف طبيعة الجبهة، ومصداقيتها المجرّبة على مدار أكثر من ثلاثين عاماً، يحلو لها أن تطلق الاتهامات غير المسؤولة، والمشكّكة بسياسات الجبهة ببساطة، وسهولة متناهية، متناسية تراث الجبهة، وتاريخها الذي قام أساساً على معارضة، ومقارعة نهج المساومات، والتنازلات التي حكمت مسار الساحة الفلسطينية، وسياسات القيادة الرسمية فيها، وكانت الجبهة سبّاقة إلى مواجهة هذا النهج في المحطّات الحاسمة، دون أن تغلّب في يوم من الأيام مصلحتها الذاتية، على الاعتبارات الوطنية العليا التي تبني على أساسها سياساتها. فلماذا يأتي البعض اليوم، ويقول ببساطة (مشكوك في خلفياتها): أن الجبهة الشعبية وافقت على الحوار مع اللجنة المركزية لفتح كي تحلّ أزمتها المالية؟!

مثل هذا الكلام، ليس أكثر من هراء، لايستحق حتى الرد عليه، لكن هذا لايمنع، أن يثير في نفوسنا شعوراً بالمرارة والاستهجان، لأنه صُمّم عن قصد، وسابق إصرار للتشكيك بصدقية الجبهة وسياساتها، متناسياً الأثمان الباهظة التي دفعتها طوال تاريخها من ناحية، ولأنه من ناحيةٍ أخرى يقزّم المواقف السياسية وتعقيداتها وخلفياتها، التي تفرضها ظروف هذه المرحلة، وهي في غاية الحساسية، إلى درجة سوف يترتب على ضوئها مستقبل مجمل النضال الفلسطيني، ومصالح الشعب الفلسطيني.. إن مثل هذه المواقف الأحادية الجانب.. والضيقة النظرة، تبهت هذه المسائل وتبسّطها، وتختزلها إلى حدود الإبتذال، وإذا كانت هذه المواقف تثير في نفوسنا المرارة، بل السخط، فيجب أن يكون واضحاً لدى هؤلاء، ولدى أبناء شعبنا الفلسطيني أن الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، لم تبنِ في يوم من الأيام، ولن تبني سياساتها لا بناءً على ازمتها المالية العارضة، ولا على أساس أيِ أزمة داخلية أخرى من أزماتها.. بل هي دائماً وأبداً محكومة في بناء سياساتها بالمصالح الوطنية العليا للشعب الفلسطيني في الداخل والخارج، وهذا الأمر لايحتاج إلى برهانٍ، لكن ماذا نفعل مع من يضع على عيونه نظارات الشعارات ذات النبرة الإنفعالية الطنّانة التي تحجب عنه رؤية حقائق وتعقيدات اللوحة السياسية في تداعياتها الفلسطينية والعربية والإقليمية والدولية؟!

ماذا نفعل مع من يفضّل الصراخ (الذي جلب الكوارث على الساحة الفلسطينية) على ممارسة فعل سياسي على الأرض مؤثر وفاعل؟! وماذا نقول: لمن ليس قادراً على التقاط تشابكات اللحظة السياسية والتعامل معها، لأنه لايرى من اللوحة سوى عرفات (الشيطان الأكبر)، متناسياً أن ثمة شياطين أخرى، أكثر عسفاً، وأشدّ تسلطاً، وأكبر خطراً على شعبنا الفلسطيني وقضيته الوطنية؟!

ماذا نقول: لمن لايريد أن يعترف أن تناقضنا الأساسي مع إسرائيل، وأن تناقضاتنا الداخلية مهما احتدمت، وتفاقمت يجب أن لاتحجب عنا رؤية الخطر الكامن هناك في التناقض الرئيسي، وخاصة عند المنعطفات الحادّة التي تحتاج استحقاقاتها إلى طاقات ووحدة وجهود كل أبناء الشعب الفلسطيني، بل إلى دعم كل الطاقات العربية، لأننا بغير ذلك نبقى ضعافاً، ممزقين يسهل على عدوّنا ابتلاعنا أكثر فاكثر، وفرض شروطه المذلّة علينا أكثر فاكثر؟!

نقول هذا الكلام، غير متناسين ما فعله بنا أوسلو، ولكن إلى متى سنبقى واقفين عند حدود أوسلو؟! لقد بُحّتْ أصواتنا ونحن نؤكد أن موافقتنا على الحوار مع اللجنة المركزية لفتح، لايعني أننا وافقنا على أوسلو، فنحن نحتفظ بحقنا في معارضة أوسلو واستتباعاته، لكن الواقع القائم وما وصلت إليه الساحة الفلسطينية تفرض علينا جميعاً كفلسطينيين (سلطة ومعارضة) أن نقف أمام استحقاقات قضايا الحل النهائي، لنتعاطى مع هذه المرحلة بمسؤولية وطنية عالية، وأمامنا حلّين لاثالث لهما: إمّا أن نستمر في معارضتنا اللفظية لعرفات (وتجربة هذه المعارضة خلال السنوات الماضية، أثبتت عجزها، وعدم قدرتها على بلورة أي بديلٍ عملي ومؤثر وفاعل)، أو أن نختار طريق الحوار الوطني الشامل، كما تدعو الجبهة، وذلك ليس بهدف القبول بما يطرحه عرفات والقيادة الرسمية الفلسطينية، وإنما لتفعيل منظمة التحرير الفلسطينية ومؤسساتها باعتبارها مرجعية الشعب الفلسطيني وذلك لتحصين الموقف الفلسطيني من الداخل.. وهذا ينسحب على مشاركة المعارضة الفلسطينية التي هي خارج إطار منظمة التحرير (حماس والجهاد).

نقولها بصراحة: ليس أمامنا في هذه المرحلة، سوى هذين الخيارين وأحلاهما مرُّ

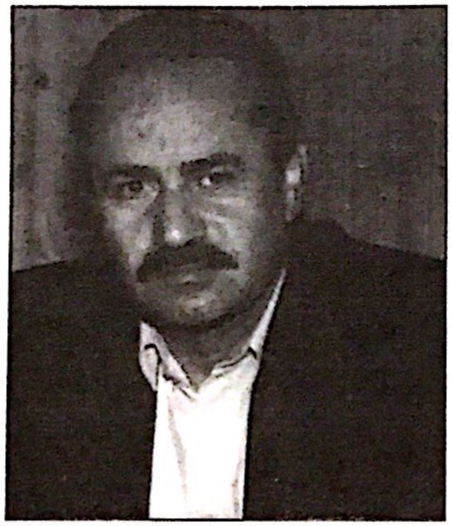
التجربة تقول: المصاعب هائلة في تفعيل المعارضة الفلسطينية في شكلها وتركيبها وأوضاعها الحالية، لتشكّل البديل المادي الفاعل والمؤثر على الأرض، على كافة الصعد العسكرية، والتنظيمية، والسياسية والمالية.. وأسباب ذلك كثيرة، منها مايتعلق بالبنية الذاتية، لهذه المعارضة، ومنها ما يتعلق في الأبعاد العربية والإقليمية والدولية التي لاتسمح لهذه المعارضة في التحوّل إلى معارضة فاعلة ومؤثرة، ومن يقول العكس فهو يكابر ويضحك على نفسه، قبل أن يضحك على الآخرين، أما من يقول: لنترك الأمر للتاريخ، فالسياسة لاترحم، والتاريخ

لايرحم أيضاً، لذلك من المهم التفكير بطريقة عملية تجعلنا قادرين على التأثير، والفعل في اللحظة السياسية الراهنة، لا أن نبقى جالسين على قارعة الطريق كمتفرجين لانقوى على فعل أي شيء!

الاحتمال الثاني.. وهو ما اختارته الجبهة الشعبية.. أي المشاركة في حوار وطني، نرغب ونتمنى أن يصير حواراً وطنياً شاملاً لأنه الضمانة الوحيدة الممكنة في هذه المرحلة من أجل تحصين الموقف الفلسطيني، ودرء الأخطار عن القضية الوطنية، ونحن هنا لانتحدّث عن الماضي فما حصل في الماضي قد حصل رغم كل مآسيه وإنما نتحدّث عن استحقاقات المستقبل القريب، وهي أشدّ وطأةً، وأكثر خطراً على الشعب الفلسطيني؛ وقضيته الوطنية، وقد قال أكثر من مسؤول في الجبهة في هذا الصدد: أننا لانعيش أوهاماً، وأن من الممكن لهذا الحوار أن يفشل، ومن الممكن أن يستخدمه عرفات كغطاء لسياساته التي قد تنفرد في القرار في نهاية المطاف، وعندها سوف نقول لشعبنا بصراحة: لقد حاولنا، وفشلنا.. مع ذلك المشكلة لاتكمن هنا، ونعرف أن: «من يجرب المجرّب: عقله مخرّب»، لكن البديهيات في المقابل تقول: أن «السياسة، فن الممكن»، ولايمكن بطبيعة الحال رسم السياسات، أو الحوارات مع أي طرف على أساس صدقية الطرف الآخر.. فالصدقية لا تظهر إلاّ من خلال الممارسة الفعلية على الأرض لما اتُفق عليه، وما يجب توضيحه ربما هو خطأ تلك النظرة التي تجد في عرفات وقيادته قوة مطلقة في الساحة الفلسطينية، كليّة القدرة لأن هذه النظرة محكومة مسبقاً بفكرة أن التعاطي مع عرفات يعني أتوماتيكياً، أننا سنتحوّل إلى ورقة استخدامية بيده سوف يلوكها، ويوظفها لخدمة مصالحه الأنانية الضيقة، ثم لن يتوانى عن لفظها بعد ذلك.

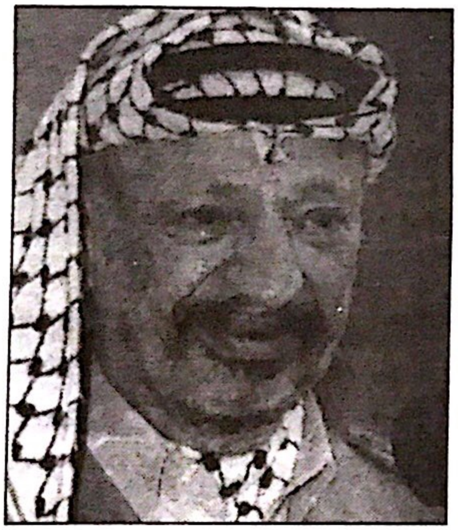
نحن لسنا في صدد الدفاع عن عرفات، أو سياساته، فهو قد يفعل ذلك، لكن جزءاً كبيراً من قوة عرفات وهيمنته على الساحة الفلسطينية، سببها تاريخياً ضعف الآخرين وليس قوته فحسب، فكما قال الأخ خالد الفاهوم: «إذا أتى إلى منظمة التحرير واللجنة التنفيذية كقيادة عليا، أحمد جبريل، وجورج حبش ونايف حواتمه، وعصام القاضي، وخالد مشعل، فلا أظن أنه سيحصل انفراد في القرار، لأنهم لن يسمحوا بانفراد في القرار، إذا حدث حوار شامل». (الاتحاد الظبيانية ٥ آب ١٩٩٩م).

ثمة نقطة أخرى تستحق النقاش، فالبعض أخذ على الجبهة أنها حينما تقول: أنها تحاور اللجنة المركزية لفتح، فهي تناور للتغطية على خيارها الفعلي في الإلتحاق بالسلطة



ومؤسساتها، لأن لا فارق بين قيادة فتح والسلطة.. هؤلاء يتناسون المغزى السياسي والفارق الجوهري .الذي تريد الجبهة التأكيد عليه، ويتناسون عن عمد الحقائق السياسية الفاقعة الموجودة على الأرض.

فأولاً، إذا دققنا في تفاصيل اللوحة وظلالها نكتشف الفارق التنظيمي والسياسي بين المرجعيات المختلفة، وهذه المسألة ليست شكلية البتة، فالسلطة كمرجعية محكومة باعتبارات كثيرة تختلف عن الإعتبارات التي تحكم قيادة فتح كتنظيم له امتدادات سياسية وتنظيمية في الخارج، وليس في الداخل فقط.. وهذا ينسحب على أوضاع منظمة التحرير، التي نؤمن أنها حتى الآن البيت الفلسطيني الذي يجمع كل الفلسطينيين في الداخل والخارج.. لذلك عندما نؤكد على مرجعية منظمة التحرير، وضرورة تفعيلها، وإعادة بناء مؤسساتها على أسس وطنية وديمقراطية، وعندما نطالب بتشكيل لجان لدراسة هذه المسألة وتقديم أوراق عمل تفصيليه لآليات تنفيذ ذلك عملياً، فذلك لقناعتنا بأن منظمة التحرير شيء، والسلطة الفلسطينية شيء آخر، ومن هنا فنحن نحاور فتح كفصيل فلسطيني، ولا نحاور السلطة بصفتها الرسمية، ولإثبات مصداقية موقفنا، فقد رفضت الجبهة الإنخراط في مؤسسات السلطة القيادية، وركّزت على أن يكون الحوار مع اللجنة المركزية لفتح فاتحةً لحوار وطني شامل، وهذا ما يؤكد أننا ننظر للمسألة برؤية شمولية، وإذا كان عرفات وقيادة السلطة الفلسطينية قد وافقت على ذلك، فهي لأنها أساساً، تستشعر عن قرب حجم المخاطر المحدقة، وحجم الضغوط التي تتعرض لها القضية الفلسطينية، ونحن على أبواب استحقاقات مرحلة قضايا الحل النهائي.



نعم، إن عرفات والقيادة الفلسطينية الرسمية يتلمسان الخطر القادم ويستشعران حجم الضغوط التي يمكن أن تمارسها الولايات المتحدة وإسرائيل عليهم، وربما من جهته يريد إعادة ترتيب البيت الفلسطيني، لإستخدامه كورقة ضغط في مفاوضاته القادمة.. من جهتنا كجبهة شعبية، وكمعارضة فلسطينية إما أن نقول له: إنك تريد أن تستخدمنا كغطاء وكورقة ضغط، لذلك نرفض ذلك ونكتفي بالجلوس على قارعة الطريق في انتظار ما سيجري، وسيذهب عرفات وهو أكثر ضعفاً بدوننا، وبالتالي سيقدّم تنازلات أكبر، وإما سنقول له: سنتحمّل مسؤولياتنا الوطنية تجاه استحقاقات قضايا الحل النهائي، ولكن على أسس وشروط تفعيل مؤسسات منظمة التحرير كمرجعية وحيدة للشعب الفلسطيني تنهض على أسس ديمقراطية، وعلى أسس الحوار الوطني الشامل الذي سيشكّل ميزان قوى فلسطيني داخلي جديد يشكّل صمام أمان لعدم انفراد عرفات بالقرارات الجوهرية التي تمس مستقبل الشعب الفلسطيني وقضيته الوطنية، وإذا ما تكررت التجربة وانفرد عرفات بالقرارات (وهذا ممكن) سنفضح ذلك في العلن، ولن ندعه يجرّنا إلى حيث يريد... أي لسنا ورقة سهلة في يده يلوكها كما يحلو له، ولكن هذا مرهون أساساً، بأن تفكّر فصائل المعارضة الفلسطينية الوطنية والإسلامية بهذه الطريقة، لتعمل على بلورة ورقة عمل وبرامج عملية للدخول في منظمة التحرير الفلسطينية، كائتلاف عريض، قوي ومؤثر، يجمع كل الأطياف السياسية الفلسطينية على اختلاف تلاوينها، تمهيداً لتشكيل قيادة سياسية جماعية تكون مسؤولة عن قراراتها أمام الشعب والتاريخ فهل نفعل؟! ■■

نص البيان المشترك الصادر عن إجتماع القاهرة بين وفدي الجبهة الشعبية وحركة فتح

تم عقد اجتماع بين وفد من اللجنة المركزية لحركة فتح، ووفد من المكتب السياسي للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين برئاسة نائب الأمين العام أبو علي مصطفى، بحضور السيد الرئيس ياسر عرفات رئيس دولة فلسطين - رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية، والأخ أبو الأديب رئيس المجلس الوطني الفلسطيني في الأول من شهر آب أغسطس في القاهرة عاصمة جمهورية مصر العربية الشقيقة.

وقد صدر عن هذا الاجتماع البيان السياسي التالي:

على ضوء التطورات والظروف السياسية الهامة التي تمر بها القضية الفلسطينية والشعب الفلسطيني في الوطن والشتات والتي تتطلب حشد كل الطاقات والإمكانات وتوحيد جميع قوى شعبنا.

فقد أكد الوفدان على مايلي:

أولاً- الاتفاق على التمسك بالثوابت الوطنية الفلسطينية، وفي مقدمتها حق العودة وتقرير المصير وإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس الشريف، والتي تؤكدها قرارات الشرعية الدولية.

ثانياً- تفعيل وتطوير مؤسسات منظمة التحرير الفلسطينية على أسس جبهوية وديمقراطية باعتبارها انجازاً وطنياً لشعبنا الفلسطيني وممثلاً شرعياً ووحيداً له في جميع أماكن تواجده.

ثالثاً- أكد الوفدان على ضرورة إجراء حوار وطني فلسطيني شامل بين كافة القوى والفعاليات في الساحة الفلسطينية بهدف تعزيز الوحدة الوطنية، واستنهاض طاقات الشعب الفلسطيني لإنهاء الاحتلال وإزالة المستوطنات ولمواجهة مهام واستحقاقات المرحلة القادمة.

رابعاً- أكد الوفدان على أهمية العمل السياسي لتوفير العمق العربي، والبعد الدولي في دعم قضية شعبنا لاستعادة حقوقه الوطنية وتحقيق السلام الشامل في المنطقة والذي يؤدي إلى استعادة الأراضي الفلسطينية والعربية المحتلة وفقاً لقرارات الشرعية الدولية ذات الصلة.

خامساً- التأكيد على استكمال بناء مقومات المجتمع الفلسطيني على اسس ديمقراطية.

سادساً- اتفق الطرفان على مواصلة الحوار وتشكيل لجنة ثنائية مشتركة تتابع تنفيذ ما تم الاتفاق عليه، ووضع الآليات المناسبة لذلك.

هذا وقد حيا الجانبان جماهير الشعب الفلسطيني في كل أماكن تواجده، كما وجُها التحية للأخوة المعتقلين في سجون الاحتلال وأكدا على أن حريتهم ستظل في قمة أولويات منظمة التحرير الفلسطينية.

كما حيا الطرفان جمهورية مصر العربية وسيادة الرئيس محمد حسني مبارك على احتضانه لهذا اللقاء، وتقديم كل التسهيلات اللازمة له.

المجد والخلود لشهدائنا الأبرار والنصر لشعبنا العظيم

اللجنة المركزية لحركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح)

المكتب السياسي للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

القاهرة
١٩٩٩/٨/٢

تصريح صحفي للرفيق أبو علي مصطفى

تعقيباً على ما كتبه زياد أبو غنيمة في صحيفة العرب اليوم الأردنيـة ١٩٩٩/٨/١٨ أدلى الرفيق أبو علي مصطفى بالتالي:

١- إن ما نقله الصحفي أبو غنيمة على لساني من أني قلت في الاجتماع الأخير للجنة المتابعة الوطنية بدمشق «أن السبب المالي في مقدمة مبررات الجبهة الشعبية للحوار مع فريق أوسلو»، هو نقل كاذب ولاصحة له، بل وأكد الرفيق أبو علي وأمام الجميع على أن القراءة السياسية للمستجدات وحجم الأخطار السياسية التي تجابه القضية الوطنية هي التي دفعت بالهيئات القيادية لأخذ قرار الحوار.

وبالتالي ان ما قاله السيد زياد أبو غنيمة أو من لقنه هذا الإفتراء على الجبهة الشعبية ليس أكثر من عزف على ذات الوتر من الحملة الكاذبة التي تستهدف تسخيف الحوار، وتجويفه من دلالاته السياسية، كما تستهدف تشويه موقف الجبهة وسياستها الوطنية.

٢- إن الأعضاء الحاضرين للاجتماع ورئيس اللجنة هم شهود على الحقيقة ولدى بعضهم محاضر، كما يوجد محضر لدى رئيس اللجنة يستطيع من شاء العودة إليه، خاصة وأنه لم يعد سراً، بعد أن سُرب للصحافة ونشرت أقسام منه.

٣- إن الجبهة الشعبية تنبه إلى ضرورة توخي الدقة وعدم زج الصحافة التي نقدرها بلعبة الأكاذيب والإفتراءات، ومع ذلك إن هذه الأصوات الحاقدة لن تمنع الجبهة من مواصلة دورها وممارسة سياستها، مهما كثر النباح.

المكتب الصحفي
دمشق ١٩٩٩/٨/٢١

تصريح صحفي

أدلى الناطق الرسمي بالتصريح التالي:

أولاً: أطلقت إسرائيل خبراً عبر إذاعة الجيش في يوم ١٩٩٩/٨/٥، تقول فيه «إن السلطات الإسرائيلية سمحت للرفيق أبو علي مصطفى نائب الأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بالعودة إلى الوطن» ليتبين لاحقاً أن لاصحة للخبر، وأنها كذبة ابتدعها أحد أجهزة العدو، بهدف التشويش على الحوار الذي بدأ في القاهرة من جهة، ورصد ردود الفعل على الخبر من جهة ثانية.

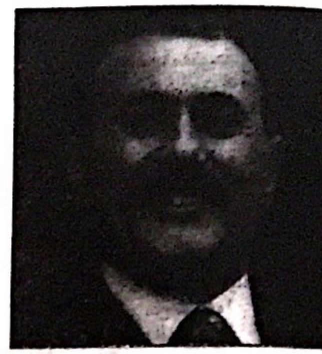
ثانياً: إن الرفيق أبو علي مصطفى مُنع مرتين من قبل سلطات الإحتلال من العودة إلى الوطن، الأولى في أعقاب دورة المجلس الوطني عام ١٩٩٦، والثانية بالدعوة الموجهة لأعضاء المجلس المركزي في الخارج عام ١٩٩٨، والتي شطب اسمه وشخص آخر من القائمة وأيضاً من قبل سلطات الاحتلال.

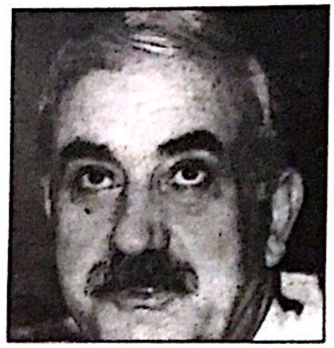
ثالثاً: إن الجبهة الشعبية تعتبر حق عودة أي مواطن فلسطيني للوطن حق مقدس، وحرمان الشعب الفلسطيني من ممارسة هذا الحق، هو بسبب قسري ناتج عن سياسة المحتل، والجبهة أجازت استخدام أية فرصة لعودة أياً من كوادرها أو قيادييها أو أنصارها منذ سنوات، وهي إذ تمارس هذه السياسة لتعي جيداً مسؤولياتها الوطنية تجاه الوطن والشتات.

رابعاً: إن انغماس أحد كتاب الأعمدة السوداء في اللعبة الإسرائيلية (مقال الحياة اللندنية ١٩٩٩/٨/١٦) بإقامة مبنى على الكذبة الإسرائيلية وإطلاق النار ببلاهة، لخدمة ذات الغرض الذي أرادته الأجهزة المعادية، لهو أمر محزن، مع أنه وأمثاله لن يثنينا عن سياستنا ومسؤولياتنا وعملنا في سبيل العودة إلى الوطن أو العمل من أجل وحدة منظمة التحرير الفلسطينية على أسس جديدة.

المكتب الصحفي
١٩٩٩/٨/١٧

د. حبش يبرق للرئيس اليمني الأخ علي عبد الله صالح





الأخ الرئيس علي عبد الله صالح
رئيس الجمهورية اليمنية القائد الأعلى للقوات المسلحة المحترم
تحية أخوية وبعد

اسمحوا لي أن أتقدم لكم باسم اللجنة المركزية وكوادر ومناضلي الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وجماهيرنا الفلسطينية في الوطن والشتات، وباسمي شخصياً بأحر التعازي باستشهاد الأخوة الاثني عشر من الضباط والجنود وطاقم الطائرة، الذين استشهدوا في حادث تحطم الطائرة المؤلم بمحافظة حضرموت.

تغمدهم الله بواسع رحمته وأسكنهم فسيح جناته

أخوكم د. جورج حبش
الأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

ويبرق لوزير الخارجية الروسي إيغور إيفانوف معزياً بوفاة د. فكتور بوسافليوك

السيد وزير الخارجية الروسي المحترم

بمزيد من الأسى تلقينا نبأ وفاة فكتور بوسافليوك نائب وزير الخارجية الروسي، الذي كرس حياته في الوقوف إلى جانب قضيتنا الفلسطينية وقضايا أمتنا العربية وقضايا السلام في العالم.

نعزيكم بوفاة الفقيد ومن خلالكم لعائلته الكريمة وللشعب الروسي الصديق.

للفقيد الرحمة ولكم طول البقاء

د. جورج حبش
١٩٩٩/٨/٤

ويبرق للسيد حسن نصرالله معزياً باستشهاد المناضل خضر سلامة

الأخ العزيز سماحة السيد حسن نصر الله الأمين العام لحزب الله حفظه الله
تحية أخوية وبعد

بمزيد من الحزن والأسى بلغنا نبأ استشهاد المناضل خضر سلامة (أبو حسن) الذي سقط شهيداً من جراء عمل إجرامي جبان يتحمل كامل المسؤولية عنه العدو الصهيوني الفاشي.

بهذه المناسبة الأليمة أبعث لكم باسم اللجنة المركزية وكوادر ومناضلي الجبهة الشعبية وباسمي شخصياً، ومن خلالكم لعائلة الشهيد واخوانه المناضلين بأحر التعازي.

إن الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين تحيي نضالاتكم، وثقتها كبيرة أنه بفضل مواقفكم الشجاعة وتضحيات الشعب اللبناني الشقيق، وفي الطليعة منه مناضلي حزب الله، سيفرض على العدو الصهيوني الإنسحاب الذليل عن آخر شبر من المحتل من أرض لبنان الشقيق.

تغمد الله الشهيد البطل بواسع رحمته وأسكنه فسيح جناته.

د. جورج حبش

الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين تشارك في أعمال المؤتمر الثالث للإتحاد الديمقراطي الوحدوي التونسي

بدعوة من الأمين العام للاتحاد الديمقراطي الوحدوي في تونس السيد عبد الرحمن التليلي موجهة للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين للمشاركة في أعمال المؤتمر الثالث للحزب أيام ١٦-١٧-١٨ تموز ١٩٩٩ شارك الرفيق الدكتور ماهر الطاهر عضو المكتب السياسي للجبهة مسؤول دائرة الثقافة والإعلام في أعمال المؤتمر حيث ألقى كلمة باسم المكتب السياسي للجبهة نقل في مستهلها تحيات الجبهة الشعبية وقيادتها وأمينها العام الدكتور جورج حبش للأخوة رئيس وأعضاء المؤتمر الثالث للإتحاد الديمقراطي الوحدوي كما نقل أعمق التحيات للشعب التونسي الشقيق.

واستعرض الدكتور الطاهر في كلمته الأوضاع على الساحة الفلسطينية والعربية مؤكداً استمرار الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في مواصلة النضال لاستعادة كامل الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني وفي مقدمتها حق العودة وتقرير المصير وإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس.



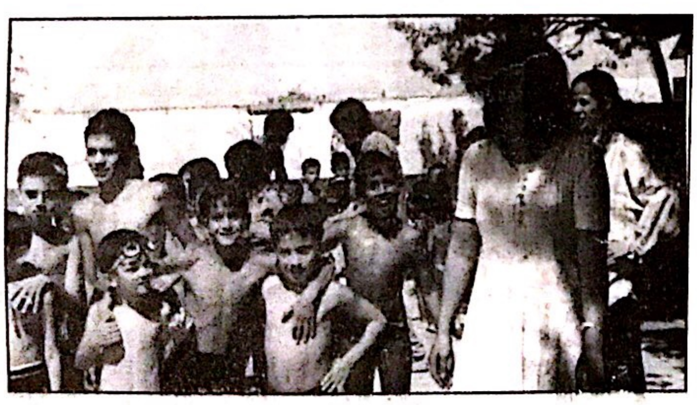
كما أكد رفض الجبهة لاتفاقات أوسلو وواي ريفر وسياسة التنازلات التي أوقعت أفدح الأضرار بنضال الشعب الفلسطيني والعربي، مشدداً على طريق الكفاح والمقاومة لاسترداد الأرض والحقوق الفلسطينية والعربية هذا وقد شارك في أعمال المؤتمر عدد من الأحزاب العربية من سوريا ولبنان والعراق والمغرب وليبيا والأردن.

وقد أعاد المؤتمر انتخاب السيد عبد الرحمن التليلي أميناً عاماً للحزب ومرشحاً للحزب لانتخابات رئاسة الجمهورية في تونس الشقيقة.

نادي غسان كنفاني يخرج دورة سباحة للأشبال والناشئين

تحت رعاية الرفيق محمود الشريف أمين سر طلائع البعث والسيد منير صبحة مدير مسبح الفردوس أقام نادي الشهيد غسان كنفاني الرياضي دورة في السباحة للاشبال والناشئين استمرت لمدة شهرين من ٦/١٦ حتى ٨/١٦ في مسبح الفردوس في ريف دمشق، باشراف المدرب محمد أبو الحسن وتم في نهاية الدورة تكريم المتفوقين وتوزيع الميداليات والجوائز على الخريجين وكانت المراتب الأولى:

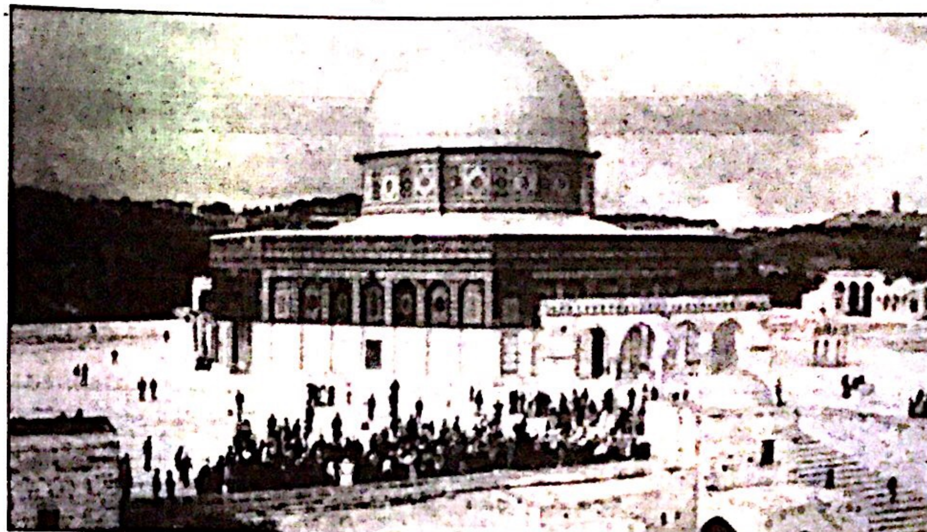
١- الشبل رأفت محمد/٢- سامر مسعود/٣- رامي الدباغ/٤- عبد الكريم يونس/٥- زيد حسن



بين الآمال والأوهام والخداع

هل يبقى مصير القدس في غياهب المجهول؟

حسن العاصي



تتصاعد خلال هذه الفترة وتائر تهويد مدينة القدس المحتلة بكافة السبل والوسائل في محاولة استباقية لفرض واقع قائم جديد في المدينة المقدسة باعتبارها «العاصمة الموحدة الأبدية» لإسرائيل، في وقت تزايدت فيه حملة مصادرة الأراضي الفلسطينية في الضفة الفلسطينية ومحيط مدينة القدس. وبتداخل الحسابات السياسية الداخلية بالحسابات السياسية الخارجية في إسرائيل، ثمة حقيقة تفرض نفسها على الفلسطينيين والعرب الذين مازالوا يراهنون على اختلاف الأداء السياسي بين الأحزاب الإسرائيلية، ويدفعون ثمن تنافس هذه الأحزاب التي تتسابق لتأكيد تفوقها في مصادرة المزيد من الأراضي الفلسطينية والتشدد في عملية السلام لإظهار ولائها للدولة العتيدة.

لقد استقبل المستوطنون فوز باراك بأعمال الحفر لإقامة مساكن جديدة في حي رأس العامود وجبل أبو غنيم في مدينة القدس التي شهدت مواجهات عنيفة بين الفلسطينيين وشرطة الاحتلال بعد أن بدأت مجموعة يهودية متطرفة يدعمها المليونير الأمريكي «إيرفينغ موسكوفيتش» بمباشرة أعمال البناء لإقامة مستوطنة من (١٣٣) وحدة سكنية وسط الحي العربي.

كما قررت إسرائيل توسيع مستوطنة «معاليه أدوميم» أكبر مستوطنات الضفة الغربية ووصلها بالقدس على أراض تمت مصادرتها في عهد اسحاق رابين وتبلغ (١٥٠٠) دونم حيث سيشكلان مستقبلاً تجمعاً عمرانياً واحداً. ومن المقرر أن تبدأ أعمال البناء قريباً لتشييد (١٠٢٥) مسكناً من أصل (٦٥٠٠) ستضمها المستوطنة الواقعة على جبل أبو غنيم فضلاً عن إعلان مسؤولين إسرائيليين أن تل أبيب تعتزم إقامة منطقة صناعية بالقرب من الخليل إلى الشمال من مستوطنة كريات أربع، وقامت إسرائيل بالفعل بمصادرة مئات الدونمات في مدن جنين ونابلس وطولكرم لتوسيع مستوطناتها وشق طرق استيطانية جديدة.

ومن الحقائق الساطعة أن بناء المستوطنات اليهودية في الأراضي الفلسطينية لاتفرضه الحاجة السكانية بقدر ما يستهدف تهويد الأرض ذلك أن نهج الاستيطان وثوابته واحدة وأن لاشيء يتبدل أو يتغير في العقل والتخطيط الصهيوني سواءً أكانت الحكومة يمينية أم يسارية، حكومة حرب أم سلام، لأن وجود إسرائيل واستمراريتها مرتبطان بقدرة هذا الكيان على فرض الأمر الواقع، وهذا ما عبر عنه الكاتب الإسرائيلي «ميرون بنفنستي» بقوله أن تاريخ المشروع الصهيوني هو سلسلة من الوقائع المفروضة من خلال مجموعة من المحاولات المخططة الهادفة إلى خلق واقع استيطاني في فلسطين.

وقد نجحت الصهيونية عبر رسائل عديدة وبأساليب مختلفة أن تجعل الكثير من اليهود مشروع مهاجر وبالتالي مستوطن. ولذا لم تتوقف عمليات القضم الإسرائيلي المنظم للاراضي الفلسطينية طوال أكثر من نصف قرن والنتيجة أن الفلسطينيين الذين باتوا الآن يشكلون (١٨) في المائة من سكان الأراضي العربية المحتلة عام ١٩٤٨ لايملكون سوى (٤) في المائة من مساحة الأرض كما أن المناطق الفلسطينية الأخرى التي يشكل سكانها أغلبية ساحقة لايملكون فيها سوى (٤٠) في المائة وهي باتت محور نشاط استيطاني واسع.

إن تطور النهج السياسي لدى حكام إسرائيل وتاثيراته على حقائق الواقع السياسي والاقتصادي والديمغرافي في الضفة والقدس يسمح لنا أن نرى الاحتلال الإسرائيلي في سيرورة تكوينه وتطوره كتاريخ قائم، مرتبطاً بتناسق كامل مع الماضي الاستعماري الصهيوني في فلسطين، وتذكرون كلام «يغال آلون» رئيس أركان إسرائيل السابق أن «حدود الدولة التي لم يستوطن اليهود على امتدادها ليست حدوداً آمنة» من هنا يمكن فهم الربط الدائم لدى حكومات إسرائيل المتعاقبة بين الاستيطان والأمن في الفكر والممارسة فإقامة المستوطنات كانت تشكل دوماً الأساس الوطيد للنهج السياسي المبهم لحكام إسرائيل والتي ينظر إليها كحدود جديدة لإسرائيل، هذه الديماغوجية عبرت عنها غولدا مائير «إن حدود إسرائيل هي حيث يقيم اليهود، لا حيث يوجد خط على الخريطة». ولهذا فإن سياسة خلق الوقائع الجديدة وبناء المزيد من المستوطنات لابديل عنها ليس فقط كأداة لاستكمال فكرة إقامة إسرائيل الكبرى وحسب بل ولما للمستوطنات من أهمية في تمزيق أواصر الاتصال الجغرافي للتجمعات الفلسطينية.

أما مدينة القدس والتي كانت الهدف الصهيوني الأبرز في المشروع الاستيطاني فقد تعرضت مقدساتها لأبشع الجرائم بدءاً من حرق المسجد الأقصى مروراً بإجراء الحفريات حول الحرم وانتهاءً بهدم البيوت العربية ومصادرة الأراضي وطرد السكان وتوسيع الاستيطان، وليس أدل على نوايا إسرائيل تجاه القدس من قول بن جوريون «لامعنى لإسرائيل بدون القدس، ولا معنى للقدس بدون الهيكل».

من هذا المنظار يرى حكام إسرائيل القدس من حيث أنها إلهام ديني قديم وسياسي راهن لأنها من أهم الغنائم التي حصلت عليها إسرائيل في حرب ١٩٦٧.

لقد قامت الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة بتضبيق الخناق على سكان القدس الشرقية من خلال إهمال الخدمات المقدمة لهم فـ (٩) في المائة فقط من موازنة القدس الموحدة تخصص لاحتياجات العرب الذين يبلغون (٣٠) في المائة من سكان المدينة. وفي الواقع فإن الخدمات العامة في الشطر العربي في حالة يرثى لها فلا توجد مراكز تجارية ولا طرق جديدة وتفرض إسرائيل على العرب ضرائب عالية وليس هناك مساكن جديدة ويمنع على السكان ترميم منازلهم ومن يخرج من القدس فهو يخسر هويته التي تسمح له بالإقامة في المدينة ويصبح

مواطناً غير مقدسي وتمارس ضد السكان العرب تفرقة وتمييز واضحين لإجبارهم على مغادرة المدينة. وفي الوقت الذي تشجع فيه إسرائيل الجماعات اليهودية المتطرفة على المكوث والإقامة في قلب الأحياء العربية وهم يحملون السلاح فإنها تمنع المواطنين العرب من الإقامة في القسم الغربي ولاحتى في الحي اليهودي الموجود في القدس الشرقية. وتقوم إسرائيل بانتزاع حق المواطنة للآلاف من أبناء القدس تحت ذرائع شتى حيث ألغت وزارة الداخلية الإسرائيلية في العام الماضي إقامة مواطنة لـ (٧٨٨) فلسطينياً وفي العام ١٩٩٧ ألغت إقامة (٦١٦) مواطناً وفي العام ١٩٩٦) كانت قد ألغت (٤٨٩) مواطناً.

لقد بات من الواضح تماماً ما تخطط له وتستهدفه إسرائيل من تهويد للمدينة المقدسة، الأمر الذي يتطلب عودة القضية الفلسطينية إلى الأمم المتحدة وقرارات الشرعية الدولية التي أدانت ضم إسرائيل للقدس ولم تعترف بالتغيرات الديمغرافية والجغرافية التي أجرتها إسرائيل على معالم المدينة طيلة سنوات احتلالها. والموقف الأخير للإتحاد الأوروبي الذي صدر إثر انتهاء قمته المنعقدة في برلين آذار الماضي يؤكد أهمية تدخل المجتمع الدولي في قضية القدس إذ أعاد الاتحاد للمرة الأولى منذ عقود مصطلح Corpas Separatum أي كيان خاص الذي استخدمته الأمم المتحدة في قرار التقسيم رقم (١٨١) عام ١٩٤٧ الذي وضع مدينة القدس بشقيها الشرقي والغربي في إطار خاص تشرف عليه الأمم المتحدة.

وفي هذا السياق نجد من الأهمية بمكان الإشارة إلى موقف إسرائيل من قرار التقسيم، فقد درجت إسرائيل على التأكيد على أن مرجعية مدريد تقوم على أساس القرارين ٢٤٢-٣٣٨ فقط دون الإشارة إلى قرار التقسيم الذي تعتبره إسرائيل قد انقضى ولايجوز للعرب إثارته وإنهم رفضوه في العام ١٩٤٧ ولن يبعث فيه الروح قبولهم به بعد ذلك. والحقيقة أن هذا الموقف يقوم على مغالطة قانونية خطيرة ذلك أن قرار التقسيم بالذات الذي استند إلى إرادة المجتمع الدولي حينذاك وسواء أكان القرار ظالماً أم عادلاً فإنه أنشأ وضعاً إقليمياً ولدت بموجبه دولة «إسرائيل» ذاتها ومادام القرار صادراً عن المنظمة الدولية فإن قبول العرب أو رفضهم لايؤثر على القرار والدليل أن رفض العرب لم يحل دون زرع إسرائيل بالقوة بموجب القرار نفسه، وبالتالي يتعين على إسرائيل إما أن تقبل القرار كله فتسمح بإنشاء دولة عربية فلسطينية، أو ترفضه كله فتعلن انتهاء وجودها وتعود الأرض كلها إلى لحظة ما قبل القرار. ذلك أن رفض ليبيا والسودان والعراق مثلاً لقرارات مجلس الأمن الذي يفرض عليها عقوبات دولية لم يلغ هذه القرارات رغم ما فيها من عور قانوني يجعلها عرضة للإبطال. وبناء عليه فإن قرار التقسيم لايسقط بمضي المدة ولا برفض أحد الأطراف ويظل وضع القدس الخاص فيه قائماً..

النقطة الثانية هي العلاقة بين قرار التقسيم وقرار مجلس الأمن رقم (٢٤٢) الذي يعالج آثار حرب ١٩٦٧ ويؤكد على عدم جواز الاستيلاء على الأراضي بالقوة ويطالب إسرائيل بالإنسحاب من الأراضي التي احتلتها يوم ٥ حزيران ١٩٦٧، وهذه الإشارة لاتعني مطلقاً أن قرار مجلس الأمن أقر توسعات إسرائيل خلال الفترة من عام ١٩٤٧ لغاية يوم ٤ حزيران ١٩٦٧ بما في ذلك احتلالها للقدس الغربية، وليست الإشارات الواردة في قرارات مجلس الأمن اللاحقة أن القدس الشرقية أراض محتلة سوى تأكيد على معالجة القرار لآثار عدوان ١٩٦٧ ولايعني البتة الإقتصار على المطالبة بانسحاب إسرائيل من القدس الشرقية دون الغربية، وهو شرح يتبناه الاتحاد الأوروبي الذي يرى أن قرار مجلس الأمن رقم (٤٧٨) عام ١٩٨٠ رفض الإعتراف بضم إسرائيل للقدس كلها ورأى أن ضم القدس باطل وعار من كل أثر قانوني، فالثابت أن قرارات مجلس الأمن بعد عدوان ١٩٦٧ بشأن القدس تهدف إلى اعتبار احتلال اسرائيل لهذه الأراضي كأن لم يكن بما في ذلك الضفة وغزة أي أن القرارات تتضمن الإعتراف بإسرائيل داخل حدودها ورفض تجاوزاتها، والهدف من تطبيق هذه القرارات هو إزاحة عقبات تنفيذ قرار التقسم لأن احتلال إسرائيل لهذه المناطق يجعل تنفيذ القرار مستحيلاً.

لقد سنحت أمام الفلسطينيين الشهر الماضي فرصة أضاعتها السلطة الفلسطينية عندما قدمت أول تراجع سياسي لصالح حكومة باراك من دون مقابل، وتجلى هذا التراجع في الموافقة على إلغاء مؤتمر جنيف الذي وافقت الأمم المتحدة على عقده، بدلاً من استخدام هذا المؤتمر كوسيلة لإجبار إسرائيل تنفيذ واجباتها والتزاماتها تجاه الفلسطينيين والمجتمع الدولي. ويضم هذا المؤتمر الأطراف المتعاقدة في معاهدة جنيف الرابعة التي صدرت عام ١٩٤٩ وتنص على عدم جواز وقانونية إحداث أي تغيير ديمغرافي أو جغرافي في المناطق المحتلة ووقعت عليه ١٨٨ دولة ومازالت إسرائيل ترفض هذه المعاهدة. وقد كانت السلطة قد سعت وبدعم عربي إلى استصدار قرار لعقد هذا المؤتمر للتأكيد على أن الأرض محتلة وأن بنود الاتفاقية سارية عليها وبالتالي التأكيد على لامشروعية ضم القدس، وبناء المستوطنات والتهجير القسري للسكان.

وقد راهن البعض على أن القرارات التي ستصدر عن المؤتمر ستساعد في تثبيت مرجعية قانونية دولية تلعب دور الموضح والداعم لمفاوضات الحل النهائي مع إسرائيل. وحين تراجعت السلطة الفلسطينية عن عقد المؤتمر ولو بشكل حل وسط بفعل الضغوطات الأمريكية والإسرائيلية فإنها فوتت فرصة ذهبية لم يكن الوصول لها سهلاً وستكون نتائج ذلك خطيرة على مفاوضات الحل النهائي التي ستواجه جدلاً بدأنا نسمع فيه رغبة إسرائيلية بإدارة حوار حول قضايا المرحلة النهائية يستمر لعشرين عاماً. ورغم إدراكنا لحجم الضغوطات على السلطة الفلسطينية لطلب تأجيل المؤتمر، إلا أننا نتساءل إذا كان التراجع سيتم قبل أن تبدأ المفاوضات فماذا ستكون عليه الحال حين تبدأ، وتظهر الخلافات وحين تطل الضغوط الفعلية من كل صوب وحدب.

خلاصة الحديث أن أحد أبعاد اللوحة في المشهد السياسي الفلسطيني ـ الإسرائيلي تبدو كالتالي:

لقد ارتفع عدد المستوطنين في الضفة وغزة إلى (١٨٠) ألف مستوطن مقابل (٩٠) ألف قبل مؤتمر مدريد للسلام عام ١٩٩١. بعد توقيع اتفاق أوسلو صادرت إسرائيل (٤٥٠) ألف دونم. وبعد توقيع واي ريفر أقيمت أكثر من عشرين نقطة استيطانية إضافية إلى ١٢ أخرى قيد البحث.

ويوجد الآن (٢٠٢) مستوطنة تنتشر في الضفة والقطاع فضلاً عن (١٨٠) مستوطلة داخل وعلى حدود مدينة القدس، وتضم هذه المستوطنات (٣٥٠) ألف مستوطن، وزادت نسبة بناء المستوطنات (١٠٥) في المائة عام ١٩٩٨. وقامت إسرائيل بهدم (٢٢٣٦) منزلا لفلسطينيين في العشر سنوات الأخيرة منها (١٨٠) منزلاً العام الماضي، كما ألغت إسرائيل حق المواطنة لـ (٢٢٠٠) فلسطيني من سكان مدينة القدس في الثلاث سنوات الأخيرة.

البعد الآخر للوحة القائمة يظهر بالضغوط الأمريكية والإسرائيلية لتأجيل تنفيذ اتفاق واي الأمر الذي يضع القيادة الفلسطينية أمام خيارات صعبة. فإذا وافقت على هذه المقترحات ستخاطر مرة أخرى بمصداقيتها في الشارع الفلسطيني والعربي وتثير لديهم مشاعر السخط والإستهزاء. أمام هذا الوضع ستواجه القيادة الفلسطينية حالة من الاحتقان السياسي والأزمات المتعددة المتولدة عن وضعية عملية السلام خاصة في ضوء محدودية الخيارات أمامها وضيق هامش المناورة بعد أن أعطت كل ما تملك وفرّطت في كثير من أوراقها الضاغطة عبر دروب الديبلوماسية السرية. وعلى هذه القيادة أن تدرك بسرعة وبعيداً عن المناورة والتوظيف السياسي مدى أهمية إعادة ترتيب الأوراق الداخلية، وخلق حالة من الوفاق الوطني على أساس البرنامج الوطني لـ م.ت.ف واستعداداً لاستحاقاقات المرحلة المقبلة، وتوظيف العمق العربي والدولي لتحقيق أهداف شعبنا. وفي غياب هذه الرؤية فإن السلطة الفلسطينية والتي أثبتت التداعيات أنها الوتر الرخو ستواجه حتماً مأزقاً صعباً وسط تزايد مخاوفها من إطلاق رصاصة الموت الأخيرة ■■

قراءة في كتاب

الصراع الفلسطيني الاسرائيلي.. إلى أين؟

نزار الأسعد

الكتاب: الصراع الفلسطيني الإسرائيلي.. إلى أين؟ منظور ثقافي

الكاتب: الدكتور كمال الخالدي

الناشر: دار ابن رشد ـ ط١ ـ ١٩٩٨ ـ ١٨٦ص.

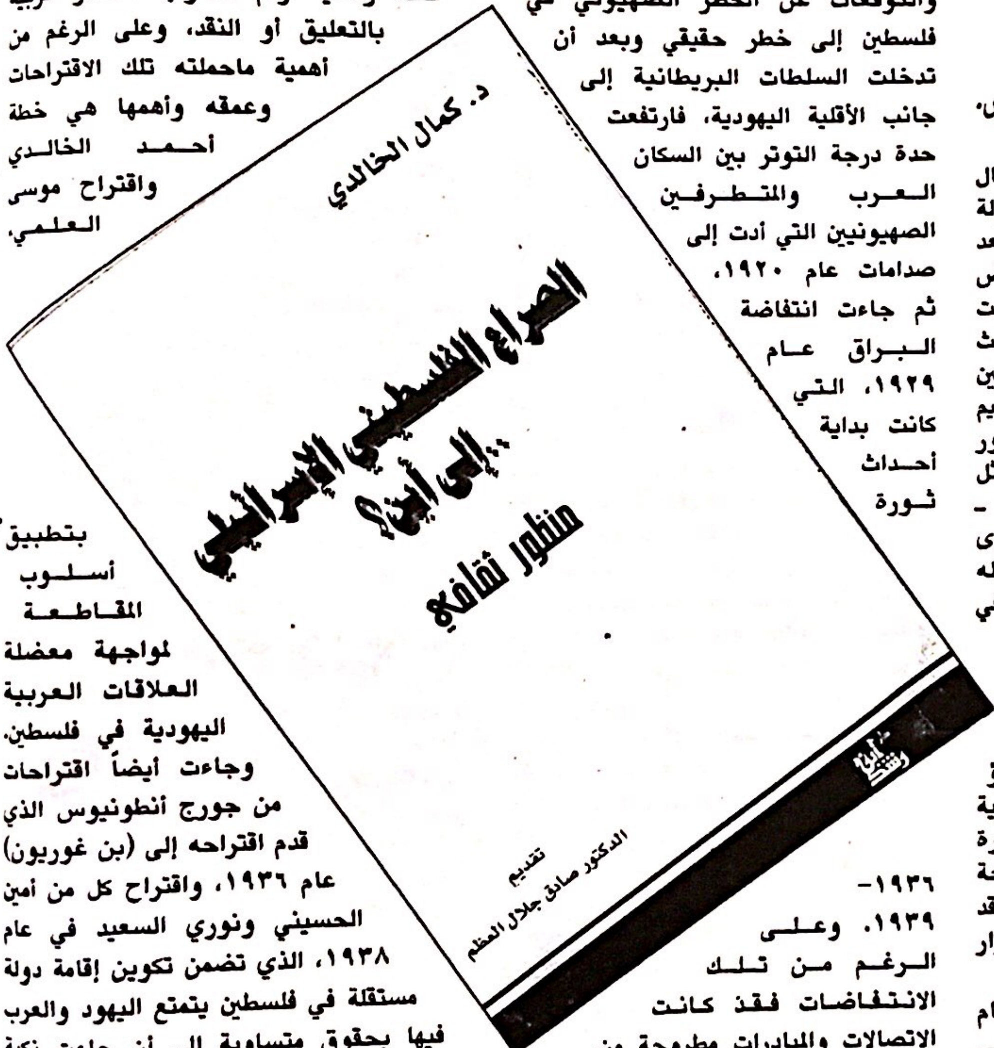
يتناول هذا الكتاب الذي ألفه الدكتور كمال الخالدي بمنظور زمني تعاقبي فكرة (الدولة ثنائية القومية) منذ عام ١٩٢٥ إلى ما بعد اتفاقية أوسلو وهي قضية حيوية قلما تعرض لها الباحثون من قبل، وخاصة بعد أن دخلت هذه الفكرة مؤخراً في مجالات البحث والسجال والحوار بين الباحثين الفلسطينيين العرب. ولقد اعتمد الدكتور الخالدي لتقديم فكرة (الدولة ثنائية القومية) على المنظور الثقافي، مبتعداً عن السياسي ما أمكن لأن مثل هذا الطرح لإنهاء الصراع الفلسطيني ـ الإسرائيلي، لايزال محصوراً على مستوى المثقفين والأكاديميين، ومن الصعب تحويله إلى شعار سياسي أو مطلب جماهيري في المرحلة الحالية.

في مقدمة كتابه يرى المؤلف أن اتفاق المبادئ الموقع بين منظمة التحرير الفلسطينية والحكومة الإسرائيلية يطرح عدة تساؤلات حول تباين مستويات التكافؤ بين الجماعتين القوميتين: العربية الفلسطينية واليهودية الإسرائيلية). حيث يؤكد أن فكرة قيام (دولة ثنائية القومية) على كامل مساحة فلسطين الطبيعية إحدى الخيارات التي قد تؤدي إلى تغيير في حالة عدم الاستقرار واختلال التكافؤ بين الجماعتين.

يقسم الكاتب كتابه إلى أربعة أقسام رئيسة: القسم الأول يتعلق بالمنظور العربي للفكرة، والقسم الثاني المنظور اليهودي للفكرة، والثالث بالحل التاريخي للفكرة، والرابع والأخير الفكرة بعد اتفاقية (أوسلو)، وكل قسم مؤلف من عدة فصول.

الفصل الأول: اتجاه العرب نحو اليهود في فلسطين/ تحليل تاريخي: فيقول الدكتور الخالدي:

لقد كانت علاقة العرب مع اليهود في فلسطين حسنة تغلب عليها صفات التسامح، إلى أن جاء وعد بلفور وتحولت الأقاويل والتوقعات عن الخطر الصهيوني في فلسطين إلى خطر حقيقي وبعد أن تدخلت السلطات البريطانية إلى جانب الأقلية اليهودية، فارتفعت حدة درجة التوتر بين السكان العرب والمتطرفين الصهيونيين التي أدت إلى صدامات عام ١٩٢٠، ثم جاءت انتفاضة البراق عام ١٩٢٩، التي كانت بداية أحداث ثورة ١٩٣٦-١٩٣٩، وعلى الرغم من تلك الانتفاضات فقد كانت الاتصالات والمبادرات مطروحة من أجل حلول للعلاقات بين العرب والأقلية اليهودية في فلسطين.



حيث تم لقاء بين (بن غوريون) و(شرتوك) وبين موسى العلمي في عام ١٩٣٣، وقدم اقتراح جمال الحسيني إلى (كاليرسكي) عام ١٩٣٤، وتضمن الاقتراح عقد اتفاق عربي يهودي يقوم على أساس تكوين مجلس تشريعي ثنائي ذي شعبتين ولكن المشكلة في الاقتراحات العربية أنها لم تحمل صفة رسمية ولم تتناولها مصادر عربية بالتعليق أو النقد، وعلى الرغم من أهمية ماحملته تلك الاقتراحات وعمقه وأهمها هي خطة أحمد الخالدي واقتراح موسى العلمي، بتطبيق أسلوب المقاطعة لمواجهة معضلة العلاقات العربية اليهودية في فلسطين. وجاءت أيضاً اقتراحات من جورج أنطونيوس الذي قدم اقتراحه إلى (بن غوريون) عام ١٩٣٦، واقتراح كل من أمين الحسيني ونوري السعيد في عام ١٩٣٨، الذي تضمن تكوين إقامة دولة مستقلة في فلسطين يتمتع اليهود والعرب فيها بحقوق متساوية إلى أن جاءت نكبة ١٩٤٨ بحجمها المخيف حيث تحول اليهودي إلى كابوس لايجوز أن تقوم معه أية علاقة. وتعمقت هذه الصورة بشكل واضح وأوسع بعد عام ١٩٦٧، فكانت العلاقة بين الطرفين قائمة على حقيقة ماثلة مؤداها وجود إسرائيليين محتلين في مواجهة عرب فلسطينيين يرزحون تحت الاحتلال فتم التعبير عن هذا الواقع (الدولة العلمانية الديمقراطية) وذلك بعد حرب تشرين في عام ١٩٧٤ من خلال البرنامج المحلي.

الفصل الثاني: الصهيونية الثقافية وفكرة دولة ثنائية القومية في فلسطين:

في هذا القسم يسعى المؤلف إلى تسليط الضوء على مفكري تيار الصهيونية الثقافية، وقد مثل هذا التيار الثقافي نخبة من أبرز المفكرين الصهيونيين وإذا استثنينا المفكر الصهيوني (ديفيد بن غوريون) الذي كان لأفكاره تأثير في تنظيم العامل الفني (هابوعيل هاتسعير) لانكاد نجد أي رائد من اتباع الصهيونية الثقافية مشاركاً في تاسيس أو تنظيم أي حزب سياسي من أحزاب (البيشوف). بل على العكس كان لكثير منهم تاثير واضح على السياسة الصهيونية فقد كان (لمارتن بوبر) و(يهودا ماكنس) تاثيرها في الجمعيات التي رفعت شعار فكرة ثنائية القومية في فلسطين. وكذلك اللغة القومية عند (بن يهوذا) والعمل والعودة عند (غوريون) ورؤية (آحادهاعام) لدولة اليهود والدولة اليهودية، وقد عمل (آحادهاعام) على وضع الأساس لفكرة الاعتراف بالوجود العربي في فلسطين وعلى أن فلسطين أرض مشتركة لشعوب عديدة يرغب كل منهما بأن يبني وطنه القومي عليها. أما العالم (آينشتاين) فقد قال على اليهود بناء مركز ثقافي في فلسطين والعيش جنباً إلى جنب مع العرب في سلام، أما المفكر (مارتن بوبر) فتجسدت القومية الصهيونية عنده بالدور الذي تؤديه اليهودية في تاريخ الإنسان.

الفصل الثالث: السياسات الصهيونية نحو العرب في فلسطين ١٩١٧-١٩٣٩:

يبين الدكتور الخالدي ردود الفعل الصهيونية على الوجود العربي في فلسطين والتي توزعت بين اتجاهات ثلاثة وهي: ١- أقلية نشطة تعمل على التوصل إلى السلام مع العرب بأي ثمن - ٢- أكثرية في المجتمع اليهودي في فلسطين (البيشوف) وتناولت المعضلة بجدية أقل واعتبرتها عقبة مؤقتة -٣- أغلبية، وقد نظرت إلى المعضلة على أنها مسألة حقيقية تتطلب وسائل معاكسة ودفاعات يجب تطويرها لمواجهة تهديدات العرب في فلسطين لليهود.

وعلى أساس تلك الاتجاهات قامت نشاطات بين يهود فلسطين تجاه ما سمي بـ (المسألة العربية).

الفصل الرابع: فكرة دولة ثنائية القومية في فلسطين بين عامي ١٩٢٥-١٩٤٨:

يعرض في هذا الفصل الدكتور الخالدي أهم النشاطات التي قامت بعد الحرب العالمية الأولى من الجانب اليهودي من أجل الدعوة إلى تطبيق فكرة دولة ثنائية القومية في فلسطين. وتمثلت هذه النشاطات في اقتراح النظريات لبعض الجماعات اليهودية ممن اعتقدوا في إمكانية التعاون بين العرب واليهود، وعملت هذه الجماعات على إيجاد حل وسط يؤدي إلى قيام دولة ثنائية القومية، وقد استندوا في هذا إلى أن دولة ثنائية القومية يجب أن لاتكون عربية أو يهودية لأنهم يعتقدون أن قيام مثل تلك الدولة تحقق للصهيونية هدفها في قيام دولة يهودية في فلسطين، ولكن التناقضات التي برزت في أفكار دعاة القومية الثنائية أدت إلى انعزالهم عن الاتجاهات الرئيسية المسيطرة على الحركة الصهيونية مما ترتب عليه أن ظلت مقترحاتهم وآراؤهم نظرية لم توضع موضع التطبيق بشكل أو بآخر.

الفصل الخامس: فكرة الدولة ثنائية القومية في فلسطين بعد عام ١٩٤٨:

بعد أن أصبحت إسرائيل حقيقة واقعة عام ١٩٤٨ ضعف الاهتمام بفكرة دولة ثنائية القومية في فلسطين وكان احتلال إسرائيل للضفة الغربية وقطاع غزة عام ١٩٦٧ مدعاة لطرح الفكرة من جديد.. وإذا استثنينا بقايا تنظيم (الإتحاد) ورمزه (بوبر) نجد أن هناك تهرباً من طرح الفكرة أو التفافاً عليها. ولم يعد خافياً أن الأولوية في الدراسات التي قدمها بعد عام ١٩٦٧ ركزت على الحفاظ على طابع الدولة اليهودية والتوازن العرقي للسكان. في هذا الفصل إذاً يتناول الدكتور الخالدي بعض الآراء التي طرحها مفكرون يهود وإسرائيليون حول تطبيق، أو عدم تطبيق فكرة الدولة الثنائية بعد هزيمة ١٩٤٨ ثم بعد حربي ١٩٦٧ و ١٩٧٣، حتى الوقت الحاضر.

الفصل السادس: العلاقات الفلسطينية الإسرائيلية بعد اتفاقية (أوسلو):

في هذا الفصل يبحث الكاتب أهم الموضوعات التي يجب إعادة التفكير فيها، مثل الأسباب التي أدت إلى توقيع اتفاق أوسلو والنتائج المتوخاة، مسألة إقامة كيان فلسطين على أي جزء من فلسطين، موقف التقدمين الإسرائيليين وحركة التجديد اليهودي من الدولة الفلسطينية، نظام الحكم في إسرائيل ونظرته المتناقضة إلى الفلسطينيين، ومن ثم مستقبل العلاقة الفلسطينية الإسرائيلية، ومن خلال التطورات التي مرت على العلاقات الفلسطينية الإسرائيلية في السنوات الأخيرة على توقيع اتفاق (أوسلو).

مستخلصاً أنه قد يكون الزمن في هذه المرحلة في أفضل تطوراته للبدء بعلاقة عملية بين قادة الفكر والمثقفين من الاسرائيليين والفلسطينيين، ولتكوين نواة لتحويل فكرة دولة ثنائية القومية إلى حقيقة واقعة ومقبولة ومرغوبة في الوقت نفسه.

الفصل السابع والأخير: منظور ثقافي لفكرة دولة ثنائية القومية:

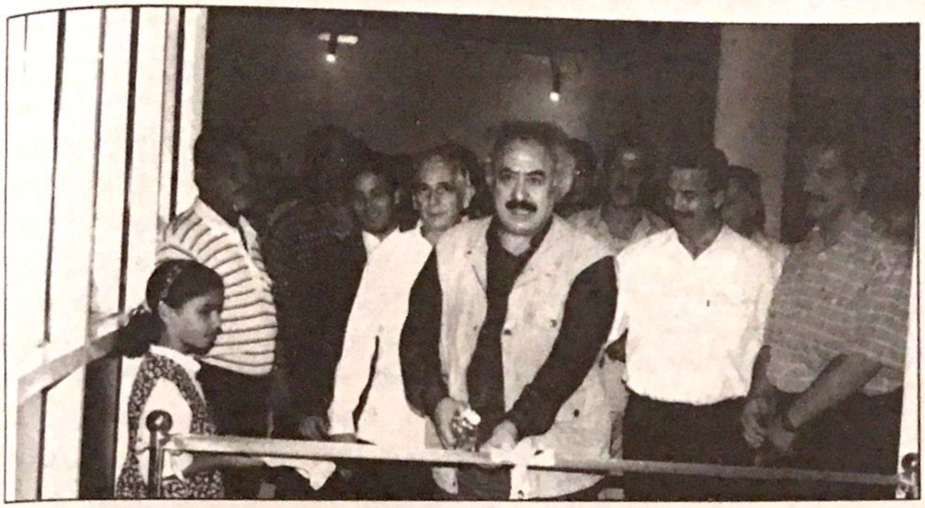
يبين الأستاذ الخالدي في نهاية كتابه الصعوبات الجمة لدراسة مثل هذه الفكرة بسبب ضعف شعبيتها على الجانبين الفلسطيني والإسرائيلي. ثم يستعرض أهم التيارات التي تناولت هذه الفكرة. فقد تناولها أكاديميون إسرائيليون وغير إسرائيليين منذ وقت مبكر وقبل قيام إسرائيل وبعدها.

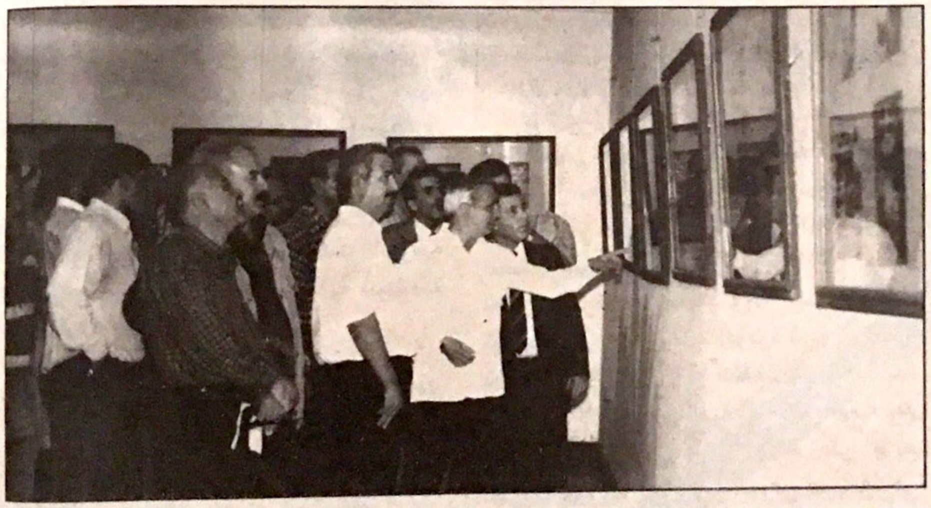
ويمكن اعتبار مبادرات بعض التنظيمات والشخصيات السياسية الفلسطينية وأفكارها، بمثابة تيارات تهيئ لفكرة قومية ثنائية في فلسطين. ويصل أخيراً الدكتور الخالدي إلى أنه ومن أجل تنفيذ فكرة الدولة ثنائية القومية، يجب الإعداد لمؤتمر عربي - فلسطيني ويهودي - إسرائيلي، وينبثق عن هذا المؤتمر هيئة تنظيمية تتابع الجهود وتنسقها لنجاح خيار دولة ثنائية القومية على كل مساحة فلسطين الطبيعية. مؤكداً على أن معالجة هذه الأفكار لا علاقة لها البتة بما يجري تحت عنوان التطبيع، لأن هذا التطبيع يعني إذعاناً وخضوعاً للشروط التي يفرضها الطرف الإسرائيلي بقوة الأمر الواقع.

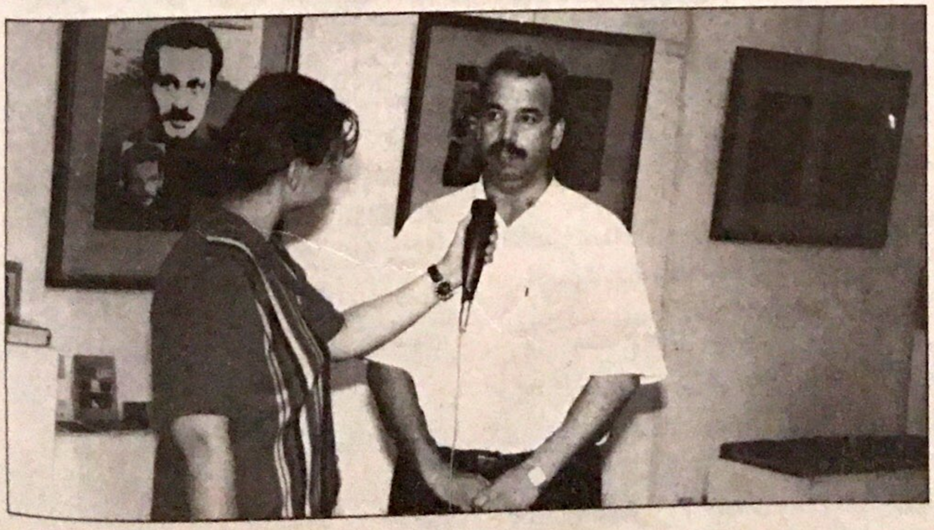
لقد طرح الباحث في كتابه بجرأة عالية وبإسهاب عميق فكرته، ولكن من منظور ثقافي كما يقول، فهو يبحث عن تسوية ثقافية بقصد الوصول إلى وضع استراتيجي دائم. ومع تقديرنا للباحث الخالدي ولكن ألا يرى أنه لايمكن إنهاء الصراع العربي - الفلسطيني - الإسرائيلي ضمن تسوية ثقافية فقط. وخاصة في هذه المرحلة إذ أن المجتمع الإسرائيلي يزحف نحو اليمين المتشدد ويزداد نمو الأصولية فيه. وهل من الممكن أن تحقق التسوية الثقافية ما عجزت عن تحقيقه التسوية السياسية حتى الآن ■■

معرض في بغداد بمناسبة الذكرى ٣٠ لتأسيس «الهدف»

بغداد ـ مكتب الهدف







بدعوة من الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وبمناسبة الذكرى (30) لتأسيس مجلة الهدف افتتح المعرض الخاص بهذه المناسبة والذي أقيم في مركز صدام للفنون وذلك يوم ١٩٩٩/٧/٢٧ وقد افتتح المعرض الأستاذ الفنان مخلد المختار مدير عام دائرة الفنون وحضر حفل الإفتتاح الأستاذ طلال الحمداني نائب مدير مكتب حركات التحرر العربية والسفير الكوبي وممثلو سفارات فيتنام والجزائر وممثلون عن فصائل الثورة الفلسطينية في العراق وممثلون عن المنظمات الشعبية الفلسطينية والسيد نائب رئيس الاتحاد العام لعمال العراق وكذلك ممثل عن الجمعية العراقية للتصوير الذي قدم بالمناسبة باقة ورد لذكرى الهدف وحضر الشاعر أديب ناصر وعدد من الفنانين والصحفيين والإعلاميين العراقيين وجمع غفير من الأصدقاء والمواطنين العراقيين والفلسطينيين وقد ضم المعرض الخاص لمجلة الهدف قسماً تضمن أغلفة مختارة من المجلة على مدار سنوات صدورها وكذلك قسماً ضم رسوم كاريكاتير مختارة للشهيد ناجي العلي كما ضم المعرض عرضاً لمجلدات الهدف للسنوات الأولى الأربعة وكذلك السنوات الأخيرة وتم عرض انتاج الرفيق الشهيد غسان كنفاني والكتب النقدية التي تناولت انتاجه الأدبي وقد عرضت في المعرض صورتان كبيرتان تم رسمهما خصيصاً لمناسبةالمعرض الأولى للشهيد غسان كنفاني والثانية للشهيد ناجي العلي وقامت القناة الفضائية العراقية بتغطية حفل الإفتتاح وأجرت لقاء مع الرفيق عز الدين محمد مدير مكتب الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في العراق تحدث فيه عن معنى إقامة معرض الهدف في العراق حيث أكد على أن إقامة هذا المعرض يأتي من منطلق التضامن مع العراق وفي إطار النضال من أجل رفع الحظر والحصار الجائر المضروب عليه والنضال من أجل عودة العراق إلى موقعه في الساحة العربية والدولية وقد نشرت الجرائد خبر إقامة المعرض.

معرض غسان كنفاني وناجي العلي في بغداد: ذاكرة الدم العربي المضيء

حسب الله يحيى

المساحة التي يشغلها المبدع الحقيقي في قلوب وذاكرة الناس.. مساحة تحددها القيمة الفعالة للإبداع.. حتى ليتسع العالم كله وقد تزايد إلى أبعاد مستقبلية..

من هنا كان الإبداع الحق.. إبداعاً لايعرف الشيخوخة، مثلما يتجاوز طبيعة الفناء والعجز والسكون..

الإبداع بذاته.. مادام صادقاً، ومادام وفياً لفاعلية العطاء، فإنه لابد أن يحاور الأزمنة والأمكنة ويقيم علاقات حيّة معها.. مع الإنسان/ المتلقي.. وإن لم تكن مهمته كذلك، فإنه عرضة للنسيان والغياب الكلي.. لأنه وجد ظرفياً.. وكل ظرفية مآلها التغير والزوال. ونموذج أعمال مبدع كبير مثل: غسان كنفاني/ الروائي، القصصي المسرحي، الناقد، الصحفي.. وقبل ذلك وبعده تلك الخاتمة الإبداعية الكبرى.. استشهاده.. فهل أجل من ابداع كهذا؟

فقد كتب كنفاني في كل أجناس الإبداع.. فلم يكن مجرباً، بقدر ما كان يريد لحنجرته أن تبوح وفق سبل شتى.. بحيث لايحول أي لون إبداعي دون أن يكون صوته واضحا صداحا في أفق يتسع لكل الصور والكلمات والحركات والرؤى.

من هنا كان كنفاني يختط لنفسه أكثر من طريق، علّه يفلت من زمن قسري يحاصره ويسعى للحيلولة دون أن يقول كل ما يريد قوله. كان شاغل غسان كنفاني الأساس، شاغلاً قائماً على مطابقة الفعل مع الكلمة مع الموقف.. ومادام كذلك فإن الخطر منه قائم.. والمسافة بين حياته والرصاصة دامية.. وقلب غسان في كفه.. وذاكرته شجرة تضرب جذورها في أرض الوطن، فيما تمد أغصانها.. الأعناق مرفوعة بكبرياء.. إذن كان كنفاني يعرف أن الطريق محفوف بالخطر.. لكن الخطر لم يتمكن من الحيلولة دون نزف كلمات الصدق التي يقول لكن صحوة روحه كانت تتألق شموساً، وتشمخ بهجة، وتنبت الكلمة غابات من الكلمات.

من هنا كان الإحتفاء بذكراه في معرض خاص أقيم لأعماله الأدبية ولمجلته الراقية (الهدف) التي أعطاها الشيء الكثير من نفسه وقلبه وعقله حتى أصبحت في طليعة المجلات العربية الوطنية والقومية والإنسانية. كان المعرض الذي أقيم في مركز صدام للفنون/ بغداد لكتبه ومجلته الأثيرة وما صدر من كتب تعنى بأدبه وإنسانيته، مثار انتباه ومشاركة وجدانية ومؤشر صدق يربط بين الرجل وقرائه، بين الكلمة ـ الحياة، والرصاصة ـ الموت الذي سيظل يؤجل حضوره على نبت الكلمات التي زرعها كنفاني.. بدءاً من فلسطين/ شغاف القلب، وصولاً إلى الإنسان ـ الصدق في كل زمان ومكان..

ولئن كان غسان كنفاني يشكل حضوراً واضحاً في غابات كلماته، فإن فنان الكاريكاتير: ناجي العلي كان يشغل مساحة لاتقل عن المساحة التي شغلها كنفاني في الأدب.. حتى لنجد أن كلا المساحتين كانتا تتفردان في ألقهما من بين مساحات مماثلة شغلها كثرة من الأحياء ممن كانت أصواتهم تختفي مثل كاتم الصوت الذي يتحدث عنه العلي في أكثر من رسم ساخر عبرت عنه شخصيته الأثيرة: حنظلة، الصابرة التي ذاقت مرارة نبات الحنظل المرّ.. حتى وجدت علاجها في المناكدة، في الرسم الذي يضحك من سواد هو أشبه بالبلوى المستحيلة أو الفجيعة المتحنة بالضحك. ولأن ناجي العلي بقلب يتسع لإضحاك تراجيديا الإنسان العربي، فإن اتساع ذاكرته، كانت من الحس اليقظ بحيث كانت تعرف محيطات السياسة فناً وممارسة، مثلما عرف سايكولوجية العربي المنسحق في هذا الكون الذي لم يعد يسع وجوده.

لكن العلي مع ذلك، كان يجد نفسه في الإنسان العراقي وهو يذبح بحراب عدو مشترك هو الصهيونية التي أخذت من الأمة العربية، قلبها فلسطين. حتى أصبح الوطن المستلب هو الرجاء والمنى الذي استل العراقي سيفه ليذود عنه، وليستعيد بهجة الروح، وسلامة الزيتون المقتلع من أرضه. وفق هذه الصورة المكبرة التي أعطاها غسان كنفاني لنا، كانت صورة مكبرة أخرى للفنان الشهيد ناجي العلي تكبر في الأفق العربي.. حتى غدت الشهادة المقدسة التي أنبتت زنابق من دم ارتوت به أرض غسان وناجي.. أرضا تضيء.. أرأيتم كيف تضيء دماء الشهداء..؟

ولأن العراق من الصبر والإحتمال في مواجهة الصعاب.. يخرج من قلب النار.. فإن معرضاً للشهيدين الخالدين: كنفاني والعلي لابد أن يأخذ مداه العميق في ذاكرة المتلقي على الصعيدين السياسي والإبداعي معاً، حتى إذا كان السياسي في موقف وطني وقومي مخلص ودؤوب وحميمي المبادئ، إلى جانب حضور نادر ومتميز ويشكل نقلة نوعية في مسيرة الحركة الفنية العربية.. كانت النتيجة حيّة وأصيلة وجديرة بالإحترام.. ومن هنا كان لهذا المعرض وإقامته في بغداد ضمن هذه الفترة العصيبة التي يمر بها العراق والأمة العربية في آن واحد.. وتعرضهما لأخطر مؤامرة استعمارية تقودها الولايات المتحدة الأمريكية على نحو شرس مملوء بالحقد، يجيء مثل هذا المعرض ليشكل علامة مزهرة على فعل المواقف الأصيلة للشهيدين كنفاني والعلي ومساراً متقدماً للفنان العربي الملتزم بقضايا شعبه وأمته.. مما يجعل الدعوة إلى فن إنساني ملتزم، دعوة إيجابية وضرورية في هذا الزمن العربي الصعب.. أكثر من سواه.

معرض كنفاني والعلي.. إضاءة لدم يقظ وتنبيه إلى فن قادر على تجاوز كل الأزمنة والأمكنة ■■

ندوة في حمص بمناسبة الذكرى ٢٧ لاستشهاد غسان

أقام منتدى غسان كنفاني الأدبي في حمص في الذكرى السابعة والعشرين لاستشهاد المناضل غسان كنفاني محاضرة بعنوان «مكونات الإبداع في أدب غسان كنفاني» ألقاها د. رضوان القضماني تحدث فيها عن ولادة جنس أدبي جديد مع غسان نسميه الأدب الفلسطيني وهو أدب يقول عنه عبد الرزاق عيد إنه «يختصر كل الأجناس في جنسيته» ثم تحدث عن مكونات الإبداع في أدب غسان وهو/ الأرض/، والمقوم الثاني هو / الوعي/ وهو وعي إجتماعي أولاً يأخذ بعداً طبقياً حين يجعل الأدب الفلسطيني مرتبطاً بمشكلة الفقر والجوع أما المقوم الثالث فهو / العقيدة/ ويرتبط بالمقوم الثاني إن قوة الينبوع الإبداعي تلتحم التحاماً وثيقاً مع قوة الفكر العظيمة. كان غسان يمتلك رؤية شمولية وفهماً محدداً للحياة لقد فهم غسان دلالة فن الكلمة على أنها دلالة نضالية يمارس فيها الأدب دور الإيديولوجيا فقد تجلت في موقف مقاومة اتخذت شكل موقف رفض، أما المقوم الأخير فهو المقوم /الفني الجمالي/ واكتفى المحاضر بالمكون الرمزي وكما حددها الياس خوري بدلالة الزمن والفعل والمكان.

إن التغيير السريع في الواقع الفلسطيني والعربي في الستينات ومطلع السبعينات وكذلك تبلور رؤية غسان كنفاني السياسية والفكرية جعلاه ينحاز انحيازاً أكبر للإنسان الكادح الفلسطيني إنه إنجاز يؤكد ثقة الكاتب بمستقبله ولذا تنتهي أعماله غالباً نهايات متفائلة.

إن غسان دفع الموضوع الفلسطيني إلى حدود انتاج شكل فلسطيني للكتابة غدا شكلاً ومضموناً ورؤية كتابةإبداعية لها مقوماتها لتكون كتابة تتطابق مع الواقع والتجربة إلى درجة الشهادة.

المؤتمر الشعبي العربي في بغداد

المطلوب عقد قمة عربية شاملة تفتح صفحة جديدة في العلاقات العربية ـ العربية

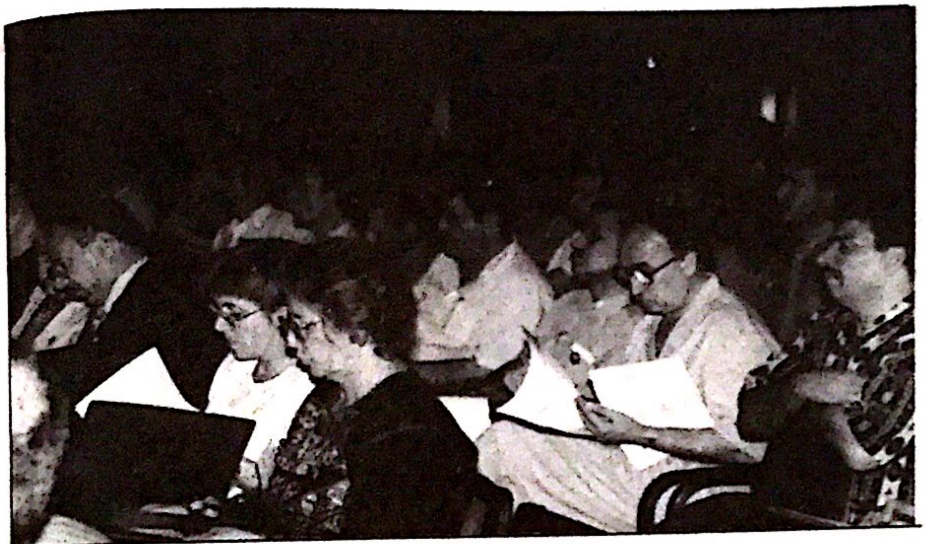
احتضنت العاصمة العراقية الصامدة بغداد في الفترة ما بين ٢٨-٣٠ تموز ١٩٩٩ مؤتمر القمة الشعبي العربي، الذي دعت له لجنة التعبئة الوطنية الأردنية للدفاع عن العراق والذي عقد تحت شعار «وحدة القوى الشعبية وتصعيد نضالها الطريق الأكيد لدحر العدوان الإمبريالي الصهيوني على الأمة العربية»، وقد شاركت فيه قيادات الأحزاب والمؤتمرات القومية والإسلامية في الوطن العربي وممثلو الإتحادات الشعبية والمهنية العربية وشخصيات فكرية وسياسية وبرلمانية واجتماعية وإعلامية.

وقد مثّل الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وفد قيادي برئاسة الرفيق أبو أحمد فؤاد عضو المكتب السياسي مسؤول العلاقات السياسية في الجبهة والرفيق إيهاب يونس عضو اللجنة المركزية مسؤول إقليم الجبهة في الساحة السورية والرفيق أبو الوفا مسؤول مكتب الجبهة في العراق. وجرى مع الوفد لقاء بالسيد طارق عزيز جرى خلاله تبادل الآراء حول الأوضاع على الساحة الفلسطينية والعربية.

وافتتح المؤتمر أعماله في قاعة المسرح الوطني، بحضور كل الوفود المشاركة وحضور وفد من القيادة العراقية على رأسهم السيدان طه ياسين رمضان نائب رئيس الجمهورية والسيد طارق عزيز نائب رئيس الوزراء.

وفي البداية ألقى السيد حمزة منصور نائب رئيس لجنة التعبئة الوطنية للدفاع عن العراق في الأردن كلمة قال فيها أن جهود العراق البطل مستمرة برغم ضراوة الحصار وبرغم قوافل الشهداء من المجاهدين والمقاومين وبرغم توابيت الأطفال الأبرياء صرعى الحصار.

وأضاف أن استمرار الحصار على العراق أصبح خطيراً ويعجز عن التعبير عنه بالكلمات.. مشيراً إلى أن العدوان يقع على العراق يومياً والمؤامرة الصهيونية الأمريكية



تستكمل حلقاتها لتهويد فلسطين وتصفية القضية المقدسة لفرض المشروع الصهيوني على فلسطين والوطن العربي.

بعد ذلك ألقى السيد طه ياسين رمضان ممثلاً الرئيس صدام حسين كلمة أكد فيها على اهمية انعقاد هذاالمؤتمر وتوقيته وسط تصاعد الهجمة الإمبريالية الصهيونية على الأمة العربية واستمرار الحصار الظالم على العراق والقصف الأمريكي ـ البريطاني اليومي على ما يسمى بمنطقتي الحظر والتآمر والتدخل الأجنبي في شؤون العراق الداخلية.

كما أكد نائب الرئيس الموقف المبدئي والثابت من القضية الفلسطينية حيث قال: أن فلسطين وعروبتها وتحريرها وسائر الأراضي العربية المحتلة الأخرى من دنس الإحتلال المدعوم من قبل الحليف الاستراتيجي الأمريكي مسألة لامساومة عليها، ودعا إلى إجلاء القوات الأمريكية والبريطانية عن منطقة الخليج العربي وتحرير الثروة النفطية من النهب والجشع للاحتكارات وتوظيفها لخدمة التنمية القومية الشاملة ورفع مستوى الإنسان العربي.

وطالب في نهاية كلمته بتفعيل دور الجماهير وطلائعها وحشد طاقاتها والتنسيق بين مؤتمراتها للرد على التحديات الأجنبية وخدمة قضايا الأمة العربية المصيرية من أجل رفع الحصار الغاشم على العراق وحماية وحدته الوطنية واستقلاله وسيادته وأمنه الوطني. وحول استمرار الحصار علىالعراق قال: أن العراق ليس معنياً بما يدور في كواليس مجلس الأمن ويرفض أي قرار لايرفع الحصار الشامل عنه دون قيد أو شرط أو يمس بحقوقه في التصرف الحر بثرواته الوطنية دون قيود أو ينتهك سيادته واستقلاله الوطني، ودعا إلى تطبيع العلاقات العربية/ العربية وفي جميع الميادين بدون شروط ولا استثناءات.

وبعد ذلك بدأت جلسات المؤتمر حيث ألقى العديد من رؤوساء الوفود كلماتهم التي أكدوا فيها جميعاً على وقوفهم مع العراق وشعبه وقيادته في وجه الحصار الظالم وعلى ضرورة رفع هذا الحصار عن العراق وشعبه. بدءاً من الحلقة العربية التي مازالت تلتزم القرارات الدولية بفرض الحصار على العراق في الوقت الذي أوفى فيه كل بكل استحقاقات منطوق قرار مجلس الأمن رقم ٦٨٧، وأكد الخطباء

جميعاً على ضرورة تفعيل مؤتمر القمة الشعبي العربي من خلال البحث عن أفضل السبل لتنسيق الجهود والخطوات والأفعال بينه وبين كافة الصيغ العربية والقومية الأخرى التي تقف ضد استمرار الحصار على العراق، وترفض السياسات التصفوية المطروحة لحل القضية الفلسطينية على أسس الإتفاقيات الثنائية والمنفردة التي جرى ويجري التفاوض عليها.

وقد ألقى الرفيق أبو أحمد فؤاد كلمة الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين نقل فيها تحيات الجبهة الشعبية وقيادتها وأمينها العام للشعب العراقي وحيّا صموده البطل في وجه طغيان الظلم والإرهاب الأمريكي - البريطاني على الشعب العراقي، ونقل تحيات الشعب الفلسطيني إلى الشعب العراقي البطل مؤكداً على وحدة قضايا الأمة ومصيرها المشترك وما تتعرض له الأمة من مخاطر عديدة. وطالب بفك الحصار الظالم عن العراق مؤكداً أن الحصار هو حصار عربي في جوهره وطالب الأنظمة العربية الوطنية والقومية بكسر الحصار في الحلقة العربية حتى يكسر الحصار في حلقته الدولية.

وعلى صعيد مؤتمر القمة الشعبي الحالي، طالب الرفيق أبو أحمد بتطوير آليات عمل المؤتمر وهيئاته في ساحات العمل الوطني من خلال التنسيق فيما بين المؤتمرات القومية واليسارية والإسلامية المنتشرة في أكثر من بلد عربي، والتي ترفع كلها شعار رفع الحصار الظالم عن العراق ومن خلال عقد اجتماعاتها بشكل دوري للوقوف علىما تم تنفيذه من قرارات سابقة. وفي نهاية كلمته تبنى الرفيق الإقتراحات التي تقدم بها السيد سعد قاسم حمودي الأمين العام للمؤتمر الشعبي العربي، وقد عقد المؤتمر بعد ذلك أربع جلسات عمل اطلع فيها على برنامج العمل المقدم من الأمين العام، ومن ثم ورقتي العمل المقدمتين من لجنة المتابعة الأردنية ومن الوفد اليمني الشعبي وقد انبثقت عن المؤتمر لجنتان هما اللجنة السياسية ولجنة العمل الشعبي العربي حيث جرى نقاش مختلف القضايا القومية والتوصيات التي قدمت إليهما.

وفي ختام أعمال المؤتمر صدر بيان ختامي عنه تضمن في حلقاته السياسية والإقتصادية والثقافية والاعلامية أهم القضايا والمهام المطلوب النضال من أجلها الآن في المرحلة القادمة على مستوى القوى الشعبية والوطنية والإسلامية العربية. وقد أكد البيان الختامي على خطورة المتغيرات في العالم في العقد الأخير من هذا القرن خصوصاً بعد زوال القطبية الثنائية، ومحاولة الولايات المتحدة الهيمنة على مقدرات العالم والتدخل في الشؤون الداخلية للدول ذات السيادة ومحاولة الإطاحة بنظم الحكم الوطنية وفرض نظم عميلة معادية لشعوبها. وذلك بالتناقض مع الشرعية الدولية ومبادئ حقوق الإنسان والقانون الدولي.. ونبّه المؤتمر إلى أن استمرار العدوان الأمريكي البريطاني علىالعراق وعلى ليبيا والصومال والسودان وكذلك على دولة يوغسلافيا.. إنما يستهدف إعادة رسم الخرائط العالمية، وخرائط المنطقة العربية للقضاء على هويتها العربية وعلى حلم الأمة في الوحدة الشاملة التي تؤهلها لدخول عالم الألفية الثالثة. حيث لامجال إلا للتكتلات الدولية والإقليمية الكبرى.

وأكد المؤتمر في بيانه الختامي على أن استمرار الحصار المفروض على العراق الشقيق هو قرار أمريكي وأن قرار اسقاط الحصار هو قرار عربي، وأن على القوى الشعبية العربية أن تتحمل مسؤولياتها على المستويين القطري والقومي تكسر الحصار على العراق كواحدة من المهمات المباشرة والملحة والفورية.

وأكد البيان على التزام القوى المشاركة في المؤتمر بضرورة تشديد النضال من أجل وقف مسيرة الاستسلام ومن أجل تصفية الآثار المدمرة الخطيرة المترتبة على الإتفاقيات الموقعة مع العدو الصهيوني (كامب ديفيد - أوسلو - وادي عربة) والتي تهدد بتصفية القضية الفلسطينية وحقوق الأمة. ويؤكد المؤتمر دعمه الثابت لمقاومة الاحتلال بكافة السبل والوسائل والإمكانيات لاستعادة الأرض العربية المحتلة في فلسطين وجنوب لبنان والجولان. وكذلك يرفض المؤتمر أي شكل من أشكال التطبيع مع العدو الصهيوني في كافة المجالات والمؤسسات. وطالب المؤتمر كذلك بعقد قمة عربية شاملة. من أجل وضع استراتيجية عربية لمواجهة التحديات ودفاعاً عن مصالح الأمة وحقوقها وحاضرها ومستقبلها.

هذا وقد حدد المؤتمر برنامج عمل شامل على الصعد السياسية والاقتصادية والثقافية الإعلامية. مطالباً بأن يكون يوم ١٧ كانون الثاني من كل عام يوماً عربياً للتضامن مع العراق ■■

المؤتمر يطالب بفك الحصار المضروب على العراق والبدء بكسر حلقته العربية الرسمية

المؤتمر يجدد رفضه لكل الحلول التصفوية المطروحة لتصفية القضية الفلسطينية ويرفض حلول أوسلو ووادي عربة وكامب ديفيد

استمرار الصمود والكفاح هو الطريق الأكيد لمواجهة مخططات الأعداء ورفع الحصار الظالم عن الشعب العراقي البطل

فلسطين أرض عربية وعلى الصهيونية أن ترحل عنها

لن نقبل بقرارات مجلس الأمن الجديدة ما لم تنص صراحة على رفع الحصار عن العراق

> لوحظ غياب وفد منظمة التحرير الفلسطينية عن المؤتمر وعندما جرى الاستفسار عن ذلك من الجهة الداعية، أفادوا أن الدعوة وجهت للمنظمة إلا أنهم لم يحضروا والسبب كما يذكر البعض هو تخوفهم من أن يتعرضوا للهجوم من قبل الوفود المشاركة. بسبب التزامهم باتفاقية أوسلو التصفوية كما حصل في المؤتمر السابق.

> لفت انتباه الحضور وصول رسالة تضامن للمؤتمر من الرفيق فاروق دحروج الأمين العام للحزب الشيوعي اللبناني تحمل تحياته باسم الشيوعيين اللبنانيين للشعب العراقي وتؤكد وقوف الشعب اللبناني مع الشعب العراقي في وجه الحصار الظالم الذي يتعرض له.

نقاش مابعد الصهيونية

الدخول في الفاشية

أحمد جابر

تعتبر فكرة (ما بعد الصهيونية)، إحدى أكثر الأفكار رواجاً في إسرائيل اليوم، في صفوف المثقفين عموماً وفي الإطار الأكاديمي على وجه الخصوص، كونها تعكس حالة الجدل الدائر داخل الدولة العبرية، حول قضايا تمس البنية، الماضي والعلاقة معه، وصولاً إلى سؤال ما هي إسرائيل اليوم، و الأجوبة التي تطرح على أسئلتها تمس بشكل أو بآخر مكانة ومستقبل الدولة العبرية في المنطقة، وكذلك علاقة هذه الدولة بمحيطها العربي.

وهذا العمل أساساً هو جزء من متابعة الآخر وفهمه وكشف طرائقه.

فإذا كان الفلسطينيون موجودين دائماً وبقوة في كل دراسة للفكر الصهيوني، أو للمجتمع الإسرائيلي، باعتبارهم التعبير الأشد رعباً عن فشل المشروع الصهيوني، و المفكرون الصهاينة أو المعادون للصهيونية، لم يكن ممكناً لهم تجاهل حقيقة الوجود الفلسطيني أثناء دراستهم لواقع مجتمعهم أو عند العودة لقراءة تاريخهم، حيث الفلسطينيون والعرب حاضرون بقوة في كل المعادلات الإسرائيلية حتى تلك الواقعة في صميم سيكولوجيا الإلغاء كما يعبر أحد غلاة الصهيونية دان مريدور - لا سلام إلا بعد أن نمتلك القوة وبعد أن يفقدوا هم (العرب) الأمل «وعلى الطرف الآخر الضد صهيوني كما يعبر إيلي أمينوف - لكي يتم خلق مجمع عادي (..) يجب الاعتراف أولا بكولونيالية الدولة الإسرائيلية، ومن ثم حل هذه المشكلة على هذا الأساس».

وبالمقابل فإن ما حققته الحركة الصهيونية والفكر الصهيوني عموماً هو أحد التعبيرات الأساسية عن فشل المشروع القومي العربي والوطني الفلسطيني، تبقى الصهيونية وانتصارها المعنون بدولة إسرائيل ماثلة بصفاقة أمام أعيننا تذكرنا بهزيمتنا وضياع أحلامنا.

ما يلي إذن هو جزء من عمل أوسع يهدف إلى المساهمة في تأسيس نقاش عربي حول هذه الفكرة، إلقاء الضوء عليها، ما تعكسه من حركة في إسرائيل في مستويات السياسة والثقافة في محاولة لمقاربة الإجابة على السؤال المطروح: ماذا بعد الصهيونية؟

دخل مصطلح ما بعد الصهيونية ساحة النقاش في الخطاب الإسرائيلي منذ أوائل التسعينات، شاملاً في إطاره أساسا جماعة « السوسيولوجيين الانتقاديين» و«المؤرخين الجدد» و«ما بعد الحداثيين»، وقد كان هؤلاء قد أصدروا كتابات استهدفت إعادة قراءة التاريخ، تاريخ حرب 1948 أساساً والعلاقة مع العرب ومسألة الطرد وغيرها فيما اعتبره أمنون روبنشتاين وزير الثقافة الصهيوني السابق ارتداداً على الصهيونية، فدشن النقاش بحملة ضد من أسماهم «ما بعد الصهاينة» مستهدفاً المؤرخين الجدد بالذات الذين يرى (حسب اعتقاده) أنهم يتبنون وجهة نظر العرب حول الحركة الصهيونية، كونها حركة كولونيالية وليست حركة تحرر وطني كما تروج الرواية الصهيونية الرسمية.

وهنا لابد من ملاحظة أساسية وهي أن مثقفي ما بعد الصهيونية لا ينتمون إلى نسق فكري موحد، وإنما خليط من الاتجاهات السياسية - الفكرية، من مثقفي جيل ما بعد 1967 الذين درسوا في الخارج وعادوا ليعكسوا تحررهم من ضغوط الرقابة المؤسسية الأيديولوجية القديمة.

ما بعد الصهيونية ظاهرة مركبة ومعقدة، تتكون من عدد من العناصر تتزايد باستمرار، وتجمع عناصر متماثلة، تنحو إلى التناقض، وهي إلى ذلك تعكس صوت نخب أعلى من حجمها الحقيقي في المجتمع ولكنها تفرض بالمقابل تأثيراً أكيداً ومهماً في سياقات الفكر السياسي الاجتماعي للنخبة الحاكمة في الدولة العبرية.

والجدل الدائر بين أقطاب هذه الحركة يعكس تناقضاتها كما يفسر ايلان بابيه أحد نشطاء حركة المؤرخين الجدد الذي يعرف (ما بعد الصهيونية) بأنها مصطلح محكوم بالأفكار المناهضة للصهيونية من جهة وبالرؤية المابعد حداثية للواقع من جهة أخرى، وبالتالي تحول المصطلح إلى أرضية سهلة يقف عليها سوية، صهاينة ويهود مناهضون للصهيونية في الأكاديميا والسياسة الإسرائيلية، أما الجزء المابعد حداثي فهو نابع من ميول جزء من هذه المجموعة إلى النظر للواقع الراهن في إسرائيل كمرحلة سقطت فيها جميع الحقائق الصهيونية، وسنرى من جهتنا بعد قليل أن هذا الجزء يشير إلى واقع انحلال الفلسفة اليهودية، بما يؤشر إلى أن ما بعد الحداثة يأخذ هنا بعد العودة إلى ما قبلها في ارتداد الصهيونية إلى إشكالية العلاقة الأصلية بين الدين والعلمانية، بين الفردية والقومية الجماعية، مما يمهد السبيل لخلق أيديولوجية إجماعية، تجميعية.. انتقائية أيضاً، تشكل المدخل الطبيعي إلى الفاشية.

من جهة أخرى يصف إيلي أمينوف هذه الحركة بأنها مسعى لإعادة تعريف حدود الخطاب الصهيوني الشرعي أي «اقتلاع الأعشاب الضارة» التي اخترقت الإجماع في حقبة الاحتلال الثاني للمناطق المحتلة عام 1967 وتخفيف وطأة التناقض الفكري الذي نشأ في صفوف قسم من النخبة الفكرية الإسرائيلية.

في حالة التناقض الظاهر إذن، من المفضل الحديث عن (ما بعد الصهيونية) في مستويات متعددة باعتبارها عملية اجتماعية من جهة تعكس تحولات عميقة في المجتمع الإسرائيلي، وكحركة فكرية من جهة أخرى تنعكس بقوة في مواقف الحكومات والأحزاب السياسية.

ثمة إشارة أخرى لابد منها إلى خطابين (ما بعد صهيونيين) يشكلان الهيكل الأساسي لهذا الطرح الأول يعكس نظرة إيجابية للصهيونية وهي نظرة تجاوزية إن صح التعبير تقوم على إن الصهيونية قد حققت أهدافها ولم يعد لها ما تفعله بعده أي المهمة الآن جعل الشعب اليهودي شعباً طبيعياً، وضرورة العمل الآن للأهداف التي يعمل لها كل الشعب، وقد بدأ هذا التفكير بعد حرب 1967.

أما الخطاب الثاني فهو يعكس تجسيداً جديداً للايديولوجيا المعادية للصهيونية العائدة إلى فترة ما بعد (الكارثة) وما قبل (الدولة) ويستعمل مفهوم «ما بعد الصهيونية» هنا على أنه ابتعاد وانقطاع عن تقاليد مناهضة الصهيونية، ويعود انطلاق هذا الخطاب أو إعادة إطلاقه إلى إحساس المثقفين (المابعد حداثيين) بأن الصهيونية تتطلب ثمناً شخصياً عالياً جداً لتحقيقها، والسؤال الذي يطرح عادة: هل كانت الصهيونية الحل لمشكلات الشعب اليهودي أو لمتاعبه؟ ويعود الجدل في جانب منه أيضاً إلى التناقض ما بين المذهب الليبرالي الديمقراطي الأمريكي الفردي، المعادي للقومية، وبين الصهيونية كحركة ديمقراطية

تطورية على خلفية الفلسفة القومية الديمقراطية في أوربا الغربية، هذا التناقض سيعكس نفسه أيضاً في الجدل حول وضعية العرب الفلسطينيين الذين ظلوا كمواطنين إسرائيليين في الدولة اليهودية المغلقة.

إلى ذلك، يمكن تحديد المسائل الأكثر أهمية التي يدار حولها النقاش في إطار الهوية الإسرائيلية والمكونات الدينية والصهيونية الداخلة في تكوينها وفي نمط الدولة والمجتمع المرغوب فيهما، والموقف من الديمقراطية الليبرالية والقيم الإنسانية العامة وتناقضها مع القيم اليهودية القبلية والدينية، ثم السياسة الإسرائيلية تجاه الأقلية الفلسطينية وتجاه الشعب الفلسطيني عموماً وتجاه مستقبل المناطق المحتلة، وأخيراً نظرة الحركة الصهيونية إلى الجماعات اليهودية خارج إسرائيل وعلاقتهم بهذه الأخيرة والجدل الدائر هنا حول حق العودة إلى مدى جدواه المستقبلية، هل انتهت مهمته؟ هل يجب إلغاؤه؟

تعود أزمة الهوية الى قرنين من الزمان وتحديداً إلى إطلاق عملية العلمنة بداية القرن الثامن عشر على يد حركة «التنوير اليهودية» - (الهسكلاه) التي قامت بإزاحة الدين اليهودي من موقعه كمحدد لمسألة الانتماء بين اليهود ليتحول إلى مجرد عنصر في الهوية، وقد أدى الانشقاق في مفهوم اليهودي إلى انشقاق في اليهودية ذاتها إلى ثلاثة اتجاهات أرثوذكسية وإصلاحية، محافظة، دار النقاش بينها حول مغزى الدين وفرائضه ومضامينه والعلاقة بين الدين والقومية والعلاقات بين اليهود وغيرهم، وسواها من القضايا بما أسس لإطلاق الصراع بين المتدينين والعلمانيين.

وفي هذا الإطار عملت الصهيونية على جذب عناصر علمانية إلى صفوفها مما أضعف مكانة الدين في حياة اليهود، حيث سعى الصهاينة الأوائل إلى إنشاء دولة (متنورة) و (ليبرالية)، تفصل بين الدين والدولة وتحصر الدين في إطار حرية الفرد سعياً إلى خلق (عبري جديد) بدلا من (اليهودي الشتاتي).

لكن هذا المسعى لم يكن من الممكن تحقيقه حيث إن الدين كان هو الوسيلة المفضلة والمضمونة النجاح للزعماء الصهاينة لجذب الجمهور اليهودي إلى فلسطين، حيث الحل القومي الصهيوني وجد مبرره في الدين وليس في أي شيء آخر، من أجل ذلك عملت على علمنة الدين أي جعله أساس القومية، وجوهر أزمتها الآن هو النقاش حول عملية فصل الدين عن الدولة، إلا أن الصهيونية وقد أنهت وظيفتها التاريخية تعود - حسب عزمي بشارة اعتماداً على هيغل - لتعي نفسها باعتبارها حركة غيبية خلاصية تجمع بين الانتماء للأمة والانتماء للدين ولا تفصل بينهما بحال من الأحوال، ولعل هذا المأزق هو جوهر نقاش ما بعد الصهيونية حول الهوية، حيث الصهيونية بفصلها الدين عن السياسة حاولت الابتعاد عن جوهرها الأصل وهو علمنة الدين ولكنها الآن تعود للتعرف على ذاتها مرة أخرى في الفكر والسلوك السياسي، مقدمة التعرف على الذات جاءت مع حرب 1967 حيث التقت دولة إسرائيل بـ (أرض إسرائيل) مما يشكل عودة الدين للالتقاء بالعلمانية والعودة إلى تدين الخطاب الصهيوني العلماني، وان كان هذا الالتقاء فتح صراعا جديداً إثر حرب 1973 بين المتدينين والعلمانيين من جهة وبين الأشكناز مؤسسي الدولة والسفارديم (إسرائيل الثانية) من جهة أخرى، هذا الصراع انتهى في الثمانينات إلى إقامة أحزاب سياسية على أسس طائفية لأول مرة في تاريخ الدولة، مما مهد لتقاسم السلطة بين الفريقين وان بطريقة مستترة غير مباشرة، إذ بتحكمهم بمسألة من هو اليهودي، كان المتدينون يعززون سلطتهم في تحديد مواصفات المواطن الإسرائيلي وهويته على أساس ديني بحت، مخضعين العلمانيين لعمليات ابتزاز مستمرة، عكست نفسها في التغييرات المستمرة في الثقافة السياسية المهيمنة وتحالفاتها والنزوع نحو الكتل المتنافرة الانتقائية المتطرفة، مما ينعكس بشكل واضح في الكتلة الفاشية التي أنشأها جنرال التساحال السابق باراك تحت اسم (إسرائيل واحدة) هذا التحالف الذي يضم متطرفين من كل الأنواع والألوان والأنماط يكرس حقيقة النزوع الصهيوني إلى إعادة التأسيس على قاعدة الالتزام بانتصار الصهيونية النهائي.

على صعيد آخر يدور النقاش حول طبيعة المجتمع المرغوب، حيث عجزت إسرائيل وستعجز مستقبلاً نظراً للمؤشرات، عن إنشاء مجتمع مدني غربي حديث على النمط الأوربي، ولعل ذلك يعود أصلا إلى التناقض المهيمن ما بين الأمركة الليبرالية الفردية المعادية للقومية،وجوهر الحركة الصهيونية كحركة قومية أوربية.

هذا التناقض وجد دعماً أساسياً في ما يمكن تسميته (الصدمة الفلسطينية)، فـ (الدولة اليهودية) التي تحمل حلم (دولة اليهود)، تفاجأ الآن بمليون فلسطيني (كمواطنين إسرائيليين) هؤلاء يضعون إسرائيل أمام الكثير من الأسئلة حول الديمقراطية والمساواة وتناقضات القانون الأساسي الذي يقول أن إسرائيل دولة يهودية وديمقراطية، ولكنها تكتشف الآن أنها لا يهودية ولا ديمقراطية، فليس جميع سكانها من اليهود، ولا يوجد أي أساس للمساواة بين السكان، إضافة إلى مؤشر آخر بفشل التحول إلى المجتمع المدني وهو نظام الملل الذي يعني استقلال الطوائف عن الدولة في قضايا الأحوال الشخصية والقضاء الشرعي، والذي ورثته إسرائيل عن الاحتلال البريطاني، حيث تخضع لتنازع قانونين، علماني وديني بدائي، في هذه الثنائية تخضع أغلبية المواطنين لحكم الأقلية الدينية الأرثوذكسية في تحطيم لأول مبادئ الديمقراطية.

كل هذه التناقضات تؤسس إلى انحلال الفلسفة اليهودية القومية إلى مكوناتها الأصلية في ارتداد نحو الفاشية كأيدلوجية انتقائية يتحالف فيها أقصى اليسار العلماني مع أقصى اليمين الديني، تنحو نحو التجريب، متمحورة حول التعصب الديني القومي، تعكس البعد عن المدنية.

ذلك كان نقاشاً سريعاً على هامش جدل ما بعد الصهيونية، وبناء على المكونات التي طرحناها ووضعية إسرائيل السياسية والثقافية اليوم، نتساءل ما هي إسرائيل بعد الصهيونية؟ ثمة عناصر متعددة تتنازع السيطرة، علمانية ودينية، يسار ويمين، تجمع كلها في كتلة تعكس التعبير الحقيقي لما بعد الصهيونية، كتلة (إسرائيل واحدة) التي تمثل نموذجاً جديداً للفاشية عبر تشكيل أيديولوجية ذات عناصر غير منسجمة ومتغيرة تشكل أداة ضرورية لجمع تيارات مختلفة لغرض الديكتاتورية والإرهاب، ضحاياها جماهير الكادحين من عرب ومزراحيم على الجبهة الداخلية وفلسطينيون وعرب على الجبهة الخارجية الموعودة بالسلام القادم مع الطائرات القاذفة المستحضرة من واشنطن، وباراك ليس أكثر من ممثل الحركة الفاشية الجديدة في إسرائيل وليس المهم الاسم بل ما يشكله باعتباره العنوان للتحالف القائم.

ولاشك أن ثمة الكثير من المؤشرات حول فاشية إسرائيل ما بعد الصهيونية هذه المؤشرات لا تعني برأينا أن تحل الفاشية محل الصهيونية في الثقافة المهيمنة بقدر ما يعني أن الصهيونية تعيد اكتشاف ذاتها الفاشية من جديد في مواجهة مرحلة جديدة■■

مصادر مختارة:

1 - الياس جرايسة وهداية أمين، إعداد، الأيديولوجيا والاقتصاد في إسرائيل، سلسلة قراءات نقدية (المجتمع الإسرائيلي والصهيونية) مركز المعلومات البديلة.(مقالات:إيلي امينوف، أفيشاي ايرليخ، ميشيل وارشوفسكي، أمنون راز - كركوتسكين، باروخ كيمرلنغ، يوسي شفارتس، أيهود عجل، أوري شبيط).

2 - الشامي، رشاد عبد الله، د. القوى الدينية في إسرائيل بين تكفير الدولة ولعبة السياسية/ سلسلة عالم المعرفة عدد 186.

3 - بشارة عزمي، مقابلة أجراها نصار إبراهيم وأحمد جابر، الهدف 1275 كانون الثاني 1998.

4 - تولياتي، بالميرو، محاضرات في الفاشية، تعريف أنطوان صيداوي، دار الفارابي 1981 بيروت.

باراك وسياسة المماطلة

هل تعمل الإدارة الأمريكية على إعادة التفاوض حول واي ريفر؟

سمير الزبن

بعد الزخم الذي أطلقه نجاح أيهود باراك في الانتخابات الاسرائيلية الأخيرة، وموجة التفاؤل التي اجتاحت المنطقة بعد هذا النجاح، والتي أطلقتها تصريحات باراك العامة حول دفع عملية السلام. نجح باراك خلال أسابيع في عكس الصورة، فلم تكن تصريحاته العامة سوى نوع من خطاب يتوجه به للعرب لصياغة علاقات عامة ناجحة كانت تحتاج إلى مثل هذا الخطاب، الذي يفترق مع خطاب نتنياهو المتعنت على المستوى اللفظي. وهذا ما دفع أحد الكتاب الإسرائيليين أن يشبهه بسلفه وأطلق عليه تعبير «باراكياهو»، معبراً عن استيائه من انقلاب باراك نفسه على خطابه السياسي، وسعيه لإعادة انتاج خطاب نتنياهو.

لكن باراك نجح خلال الأسابيع الماضية في خفض التوقعات العربية على المسارات التفاوضية، حيث أظهر بوضوح أنه لن يكون الحمامة التي توقعها العرب في عملية السلام، وأن المفاوضات مع باراك لن تقل صعوبة عن تلك التي خاضوها مع نتنياهو، فهو صاحب قبضة حديدية وإن لبس قفازات الحرير لبعض الوقت. فمعادلة الأمن الإسرائيلية هي من قائمة أولويات باراك، وهذا ما أكده، ليس في لاءاته فحسب، بل وفي التعامل مع اتفاق واي ريفر الذي وقعته حكومة نتنياهو، والذي صوت باراك وحزبه إلى جانبه عندما كان في المعارضة.

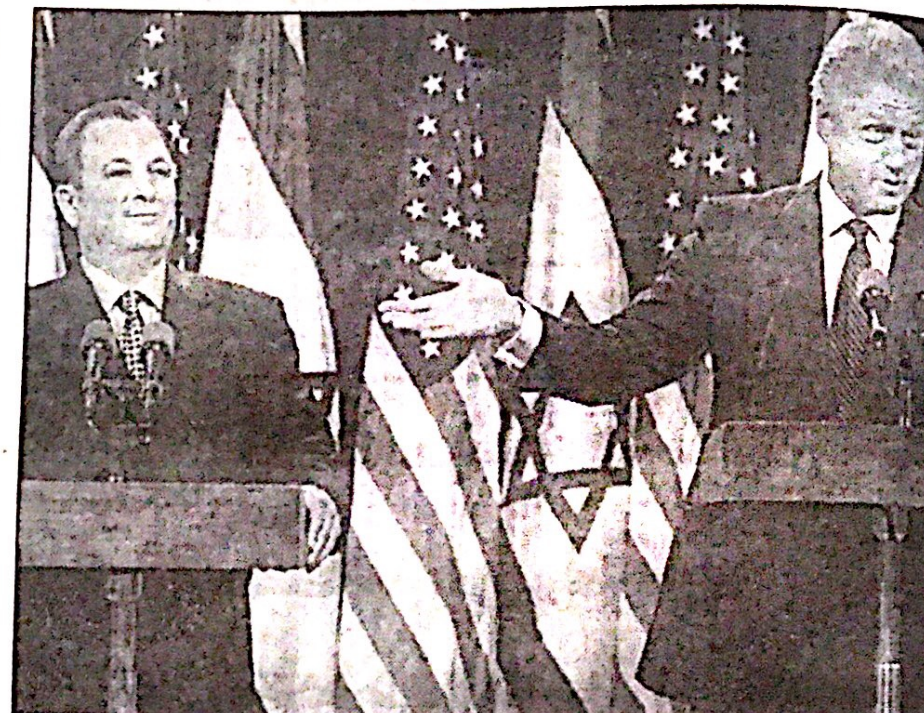
ففي الوقت الذي انتظر الجميع بمن فيهم الولايات المتحدة الأمريكية من باراك تنفيذ اتفاق واي ريفر الذي تأخر تنفيذه سبعة أشهر، بحكم تعطيل نتنياهو للتنفيذ، بحجة ضغوط الأحزاب اليمينية. فإن باراك «اليساري» الذي أكد على ضرورة تنفيذ الاتفاق، ربط هذا الاتفاق بتأجيل المرحلة الثالثة من الانسحاب وربطها بمفاوضات الحل النهائي، تحت ذريعة أن هذا الانسحاب يشكل تهديداً أمنياً لبعض المستوطنات. ومن المعروف أن الاتفاق في واي ريفر على نسبه انسحاب ١٣ في المائة من مساحة الضفة لم تترافق بخرائط، وتُرك تحديد المناطق التي ستنسحب منها اسرائيل للجانب الإسرائيلي، حيث حدد هو هذه المنطقة، وفي هذا الإطار لايمكن فهم مخاوف باراك الأمنية طالما أن الخرائط تم وضعها من الجانب الإسرائيلي. والحجة الأسوأ من الحجة الأمنية، ما يسوقه باراك لتسويق تأخير المرحلة الثالثة من الانسحاب، ففي الوقت الذي كان نتنياهو يرفض تطبيقه بحجة تعارضها مع المصالح الإسرائيلية، فإن باراك يسعى لتسويق عدم التنفيذ، بحجة أن عدم التنفيذ يخدم الفلسطينين، كيف ذلك؟ الجواب عند باراك وحده.

وأثناء كتابة هذه السطور، أعطى باراك ـ حسب ' الناطقة باسمه ـ أوامره للجيش الإسرائيلي، بالإستعداد لتنفيذ الاتفاق، على أن يترافق هذا التنفيذ مع زيارة وزيرة الخارجية الأمريكية في مطلع الشهر المقبل، وهذا التصريح غامض كغيره من تصريحات باراك بشأن تنفيذ اتفاق واي ريفر، فالمشكلة الأساسية حول تنفيذ الاتفاق تتعلق بأجندة التنفيذ، والبدء في التنفيذ دون الاتفاق على مدة زمنية محددة، يفتح الباب لجعل الجدول الزمني مفتوحاً، فالإستعداد اليوم، وبدء التنفيذ في أيلول أو تشرين الأول وانتهاء الانسحاب مفتوح على الزمن ـ خاصة في ظل عودة حكومة باراك إلى مقولات نتنياهو بالتبادلية وتنفيذ الفلسطينين لإلتزاماتهم حسب اتفاق واي ريفر. فالاستعداد الإسرائيلي للإنسحاب من ٥ في المائة من المساحة المتفق عليها حسب اتفاق واي ريفر ـ ربطته حكومة باراك بتنفيذ الفلسطينيون لالتزاماتهم، وفي هذا الإطار، يمكن لإسرائيل تعطيل تنفيذ الاتفاق بذات الحجة التي استخدمها نتنياهو، بأن الفلسطينيين لم ينفذوا التزاماتهم، مما يطيل فترة التنفيذ وبالتالي وبحكم التمديد الفعلي لتنفيذ الاتفاق، تدخل أجزاء من هذا الاتفاق مع مفاوضات الحل النهائي.

ومن المفارقات أن الهجوم الأشد على اتفاق واي ريفر جاء من أحد حمائم حزب العمل وهو يوسي بيلين وزير العدل الإسرائيلي، حيث اعتبر أثناء زيارته الأخيرة لواشنطن اتفاق واي ريفر «هراء» ومضيعة للوقت، وزعم أن أمام الفلسطينين فرصة لاتفوت للدخول مباشرة في مفاوضات الحل النهائي والتسوية الدائمة. وقال بيلين مستهجناً الموقف الفلسطيني «أن من الصعب أن يصدق المرء إصرار الفلسطينيين على تنفيذ اتفاق واي ريفر، بدل الانتقال إلى مفاوضات التسوية الدائمة». واستطرد قائلاً «إنه إذا ما أصر الفلسطينيون على التنفيذ فسيحصلون على ذلك، لكن عليهم أن يدركوا أنه اتفاق متبادل ويشتمل على التزامات فلسطينية يجب الوفاء بها مثل، اعتقال المطلوبين وجمع الأسلحة غير المرخصة وتقليص عدد أفراد الشرطة» وقد طلب بيلين خلال لقاء مع مادلين أولبرايت وزيرة الخارجية الأمريكية الضغط على الفلسطينيين للكف عن المطالبة بتنفيذ اتفاق واي ريفر.

لماذا الإصرار الإسرائيلي على إعادة التفاوض على اتفاق واي ريفر، رغم تصويت حزب العمل إلى جانبه عندما كان في المعارضة؟

إن المسألة لاتتعلق بواي ريفر وحده، بقدر ما تتعلق بقضايا الحل النهائي، ويعود الموضوع إلى أيام كان باراك وزيراً للداخلية في حكومة رابين، وأثناء نقاش الانسحاب من



المدن الفلسطينية رفض باراك فكرة الانسحاب، على اساس أنها تشكل تنازلاً من طرف واحد، وهو يرى أن ذلك خطأ، بحيث يجب من وجهة نظر باراك في ذلك الوقت أن تكون التنازلات في إطار صفقة شاملة يقدم الفلسطينيون تنازلات جوهرية مقابل التنازلات الإسرائيلية، لا أن تقدم إسرائيل التنازلات من جانب واحد، وقد صوت ضد الانسحاب في حينها، مما أغضب رابين واعتبر أن باراك خانه بعدما فعله له.

ومن الواضح الان أن باراك يسعى لتنفيذ ما فاته في ذلك الوقت، وسيسعى بكل الوسائل لتعطيل اتفاق واي ريفر ودمج أجزاء منه مع قضايا الحل النهائي. وهذا ما تساعده عليه الإدارة الأمريكية، حيث أجلت وزيرة الخارجية الأمريكية زيارتها للمنطقة التي كانت مقررة في منتصف الشهر الحالي إلى بداية الشهر القادم، وذلك بناء على طلب باراك نفسه، حتى يتسنى له الوقت للوصول إلى اتفاق مع الفلسطينيين أو بالأصح للاستفراد بهم، وهذه السياسة أفرزتها السياسة الأمريكية تجاه عملية السلام بعد وصول باراك إلى السلطة في إسرائيل. فقد طلب أثناء زيارته الأخيرة للولايات المتحدة الأمريكية، الكف عن لعب دور الشريك في المفاوضات والانسحاب منها، وترك الأطراف لتحل مشاكلها فيما بينها، ولقد لاقت هذه الدعوة آذاناً صاغية في الإدارة الأمريكية، التي بدأت تصيغ استراتيجية انسحابية على مستوى المفاوضات خاصة على المسار الفلسطيني.

ورغم تأكيد الإدارة الأمريكية بأن زيارة أولبرايت لن تكون زيارة بروتوكولية، إنما ستعمل خلالها على تنفيذ اتفاقات السلام، ولكن من الواضح، أن الإدارة الأمريكية ستسعى خلال الأيام القليلة القادمة وقبل وصول وزيرة الخارجية إلى المنطقة، إلى إيجاد حل وسط للقضايا العالقة بين الفلسطينيين وإسرائيل، ولاشك بأن ذلك سيكون من خلال الضغط على الفلسطينيين بصفتهم الطرف الضعيف في المعادلة. ورغم كل التأكيدات الفلسطينية على عدم إعادة التفاوض على اتفاق واي ريفر، ولكن إسرائيل، وخلال الأسابيع الماضية جعلت من الجدول الزمني وحده موضوعاً معقداً للتفاوض، وهذا ما يؤشر على الأداء التفاوضي الإسرائيلي في قضايا الحل النهائي، التي سيجد الفلسطينيون أنفسهم وحيدين في مواجهة إسرائيل، بعد أن تكون الولايات المتحدة قد أكملت انسحابها من عملية المفاوضات، مما يعني وقوفها المطلق إلى جانب إسرائيل.

وأصبح واضحاً أن مفاوضات الوضع النهائي التي تريدها إسرائيل هي الإقرار الفلسطيني بكل المطالب الإسرائيلية بشأن هذه المفاوضات، مما يعني فقدان المفاوضات لأي معنى، لأن الخطوط الحمر لحكومة باراك، بشأن قضايا الحل النهائي بدءاً بالمياه، مروراً بالدولة الفلسطينية والمستوطنات واللاجئين، وصولاً إلى القدس، هي قضايا مغلقة. ولتثبيت هذا الإغلاق، فإن التعطيل يجب أن يكون في قضايا الحل الانتقالي التي يمكن تأجيلها لتقديمها عبر صفقة متكاملة مع الفلسطينيين في إطار مفاوضات الحل النهائي، فالمتأخرات في قضايا الحل الانتقالي، لاتقتصر على اتفاق واي ريفر، بل هناك حزمة كبيرة متأخرة من اتفاقات أوسلو أصلاً.

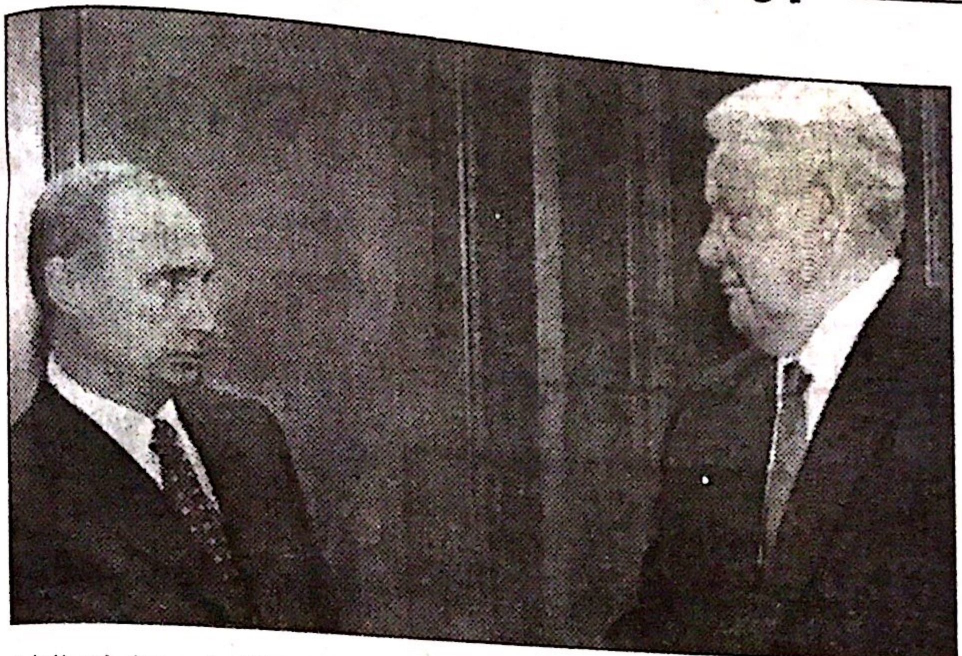
إن الأسلوب الإسرائيلي بإغراق المفاوضات الفلسطينية بمجموعة كبيرة من التفاصيل خلال المفاوضات لم يتغير مع حكومة باراك، فهو استمرار لسياسة اسرائيلية ثنائية في مواجهة الفلسطينيين، وهذا ما يعود له باراك بشأن اتفاق واي ريفر، كما عاد له نتنياهو سابقاً بشأن اتفاقات أوسلو، فاتفاق واي ريفر سيبقى موضوعاً تفاوضياً خلال الأشهر القادمة، تنفيذ، عدم تنفيذ، التزامات فلسطينية، التزامات اسرائيلية، مما يطيل أمد تنفيذ الاتفاق الوقت الذي ترغب به إسرائيل، وهذا لايمنع بدء تنفيذ مرحلة أولى منه مع وصول وزيرة الخارجية الأمريكية لإعطاء صورة لإسرائيل، تجعل الإدارة الأمريكية قادرة على مساعدة إسرائيل في إقناع الفلسطينيين بالقبول بحل وسط بشأن اتفاق واي ريفر.

فمنذ وصوله إلى السلطة في إسرائيل لم يقدم باراك للمفاوضات سوى الكلام، وعلى الأرض لم تجر أية خطوة تشير إلى الثقة بسياسة الحكومة الإسرائيلية، لابشأن تطبيق اتفاق واي ريفر ولا حتى بشأن البؤر الإستيطانية التي قامت في زمن حكومة نتنياهو. مما يجعل حكومة باراك استمراراً بشكل أو بآخر لحكومة نتنياهو، ولكنها هذه المرة تلبس لباس الحمامة بدل لباس الصقر، وهذا ما يعطي الفرصة للولايات المتحدة، بعد أن انعكست الصورة بظهور حكومة باراك بصفتها حكومة سلام، للضغط على الجانب الفلسطيني بصفته المعطل لعملية السلام.

ففي الوقت الذي ينتظر الفلسطينيون زيارة أولبرايت للمنطقة بفارغ الصبر، على أساس أن الولايات المتحدة شريك وضامن لتنفيذ اتفاق واي ريفر، سيجد الفلسطينيون هذه المرة أن الوزيرة الأمريكية تملك خطاباً مختلفاً عن ذلك الذي كان قائماً أيام نتنياهو، وستطلب أولبرايت من الفلسطينيين، أن يسهلوا مهمة باراك بدفع عملية السلام بالوصول إلى حل وسط حول تنفيذ اتفاق واي ريفر، وسيجد من راهن على الإدارة الأمريكية من الفلسطينيين بأنها ستقف إلى جانب الحق الفلسطيني، أنه كان يراهن على وهم، وأن الإدارة الأمريكية في نهاية الأمر مصالحها في الجانب الإسرائيلي. فإذا كانت الإدارة الأمريكية لم تمارس الضغوط على حكومة نتنياهو رغم كل الإحراج الذي سببته للإدارة الأمريكية، فإنها بالضرورة لن تمارس الضغوط على حكومة باراك، بل على العكس ستقوم بتسويق سياساته حول المفاوضات، وهذا ما هو منتظر من زيارة وزيرة الخارجية الأمريكية للمنطقة مطلع الشهر القادم ■■

يلتسين بين الفكرة والسكرة وضياع روسيا

أيمن عوض



مع اقتراب موعد الاستحقاق الانتخابي في روسيا سواء لمجلس (الدوما) أو للرئاسة هناك، أقدم يلتسين في خطوة تكاد تكون معهودة به على استبدال رئيس الوزراء «سيرغي ستيباشين» بآخر هو «فلاديمير بوتين» وبذلك يكون بوتين خامس رئيس وزراء في روسيا منذ ما لايزيد على الـ ١٨ شهراً.

وإذا كان هذا التبديل الذي أصبح تقليداً في الكرملين يدل على شيء، فإنه وبكل تأكيد يدل على عدم الاستقرار السياسي والاقتصادي في ذلك البلد المترامي الأطراف.

يبدو جلياً أن الأمر له علاقة بشخصية يلتسين، حيث أن خياراته دائماً تكون دون ما يرتئيه ويتمناه. وهذا يعود في المقام الأول لحالة يلتسين المرتبكة على جميع الأصعدة بشكل عام.

فالرجل أصبح مدمناً على إصدار المراسيم في إقالة واستبدال رؤساء وزرائه. كما أن الثلاثي المحيط بالرئيس هم من يرسمون له سياساته على كافة الصعد.

وإذا كانت روسيا قد اهتزت مكانتها لدرجة لم تشهدها من قبل إبان العدوان الأمريكي على يوغسلافيا. فإنها وبكل تأكيد مازالت تعيش حالة التهميش هذه حتى داخلياً. حيث لم يعد هناك أي رابط بين الأطراف في المناطق والمقاطعات الروسية وبين مركز روسيا. وكذلك الأمر فيما يتعلق بالشعب الروسي الذي يدرك تماماً بأنه ضحية ١٣ ثري روسي قام يلتسين برعايتهم والتغطية عليهم ودعمهم إلى أن حصل لروسيا ما حصل.

يلتسين ليس استثناءً لحالة روسية ترمي بجذورها عميقاً، وهي عادة «البخميلكا» وهذه العادة تأتي في الأساس لكي يبقى متناول الكحول في حالة من السكر في اليوم التالي لتناوله المشروب حيث يقوم الشارب، باجتراع كأس من «الفودكا» صباحاً وقبل تناول أي شيء من الطعام، أو حتى قبل الذهاب إلى الحمام، وذلك بهدف الحفاظ على مزاجه الرائق منذ الأمس. ويبدو أن يلتسين واقعٌ تحت تأثير هذه العادة السيئة.

فيلتسين هو من جاء برئيس وزراء لايتجاوز من العمر الـ ٣٧ عاماً ووضعه في المنصب الثاني في البلد ظاناً بأنه سيوقف التدهور الحاد في الاقتصاد الروسي، فإذا به يضع روسيا في فترة قياسية على حافة الإفلاس.

وهو من أتى بعد ذلك بـ /بريماكوف/ الذي أعاد مجمل الإنتاج الروسي إلى ما كان عليه قبل نصف عام من توليه رئاسة الوزراء وتم تخفيض معدلات التضخم من ٣٨٪ إلى ٣٪ في خلال الفترة ذاتها. (طبعاً دون أي حل للمعضلة الأكبر وهي حجم المداخيل للناس حيث سجلت انخفاضاً بنسبة ٢٥٪ عن مستواها في العام السابق) وكانت الهيئات الحكومية التي تتابع التطورات الاقتصادية في فترة «بريماكوف» قد سجلت أن معدلات التشغيل للطاقة الانتاجية قد وصلت إلى ٤٣٪ ولأول مرة منذ العام ١٩٩٦.

وأصبح هناك ارتفاع في معدل نمو الموارد المالية لدى المؤسسات الصناعية بلغ في فترة «بريماكوف» من العام ٩٩ ناقص ٦ نقاط مقابل ناقص ٤٠ في الفترة المماثلة من العام السابق وهو أكثر ارتفاع يتحقق منذ عام ٩٢ في روسيا.

وبريماكوف أيضاً هو من حاول أن يجد لروسيا مكاناً على الساحة الدولية وإعادة علاقاتها في منطقتنا إلى سابق عهدها.

والأمر المدهش أن إقالة «بريماكوف» جاءت بحجة التدهور الإقتصادي وعدم لجمه في البلد. ولكن الأساس في ذلك هو أبعد بكثير، حيث أن طواغيت المال في روسيا هم في الأساس وراء إقالة بريماكوف. فهو لم يترك لهم المجال كما السابق لمدّ أيديهم للمال العام الأمر الذي أقلقهم كثيراً، كما أن هناك بعض القضايا الهامة التي لامسها «بريماكوف» وهو فتح ملفات بعض الشركات وعلى رأسها شركة ابنة الرئيس الروسي. الأمر الذي جاء بنهايته.

حيث أن فتح هذه الملفات سيجعل الأمور مؤلمة جداً للعديد من أعضاء الحاشية الرئاسية، وتحديداً للثلاثي المحيط بالرئيس مباشرة الذي يوجهه كيف يعمل.

وما أن أقيل بريماكوف حتى كلف يلتسين

«سيرغي ستيباشين» بتشكيل حكومته الجديدة. وإن كان الوضع الاقتصادي قد تراجع في عهده إلا أن ستيباشين قد استطاع إقناع البنك الدولي والغرب بإعادة جدولة ديون الإتحاد السوفيتي السابق والبالغة ١٥٠ مليار دولار والحصول على قرض جديد بقيمة ٤،٥ مليار دولار.

ومن هنا يأتي السؤال، إذا كان «ستيباشين» قد حقق هذا الاختراق في الغرب (جدولة الدين والحصول على قرض جديد) فلماذا يقال من منصبه؟! الحجة التي يرويها يلتسين دائماً والشماعة التي يعلق عليها مراسيم الإقالة هي الوضع الاقتصادي، متجاهلاً أنه المسؤول أولاً وأخيراً عن مأساة روسيا كاملة.

ولكن السبب الحقيقي هو أبعد من ذلك. حيث أن روسيا حالياً على أبواب الانتخابات سواء البرلمانية أو الرئاسية، وهو يبحث عن خليفة له ولم يجده إلى الآن. وزيادة التدهور الحاصل في روسيا سيعني وبكل تأكيد خسارة يلتسين وصحبه في الانتخابات، سيما وأن الأمور لم تعد تطاق في روسيا.

وخسارة يلتسين هذه سيترتب عليها الكثير، سيما بحث أسباب الانهيار وفتح ملفات الفساد. الأمر الذي يعني أن يلتسين سيكون في مواجهة روسيا مجتمعة ضده وضد حاشيته. وهذا أمر غير مريح له. وهذا سيكون من خلال حالة النفور التي خلقتها ممارسات يلتسين وصحبه خلال فترة حكمه، وبالتالي فهو بحاجة إلى من يجهض التكتلات القوية والتشكيلات السياسية الأساسية قبل أن يتنحى عن الكرسي، وبالتالي يضمن فوز جماعته الأمر الذي يعني عدم فتح الملفات الكبيرة ما بعد انتهاء فترته الرئاسية.

ومع ذلك يحاول يلتسين جاهداً أن يجد مبررات إقالة «ستيباشين» موحياً أن أحد أسباب الإقصاء تعود إلى عدم قدرة الأخير على احتواء الوضع في القفقاز وتحديداً داغستان، رغم أن كل المؤشرات تشير إلى أن موضوع داغستان هو ترتيب من الكرملين وذلك لإقصاء «ستيباشين»، حيث يشاع أن هذا الموضوع رتب له رئيس الديوان في الكرملين مع الأصولي الشيشاني «ياسييف» وذلك في محاولة جديدة من يلتسين وأعوانه لفرض قانون الطوارئ، الأمر الذي يعطي يلتسين متنفساً جديداً في التحلل من الاستحقاقات الدستورية.

وإلا ماذا يعني أن يسيطر ١٢٠٠ مقاتلاً من الأصوليين على العديد من القرى الداغستانية في الوقت الذي يقابلهم فيه دولة نووية تعداد جيشها يفوق الثلاثة ملايين جندي وضابط؟!

من هنا كانت إقالة ستيباشين واستبداله «ببوتين» وإذا كان من شيء يخيف يلتسين من الانتخابات القادمة، فإن أكثر ما يقلقه هو الحزب الشيوعي بما يمثله من حجم انتخابي كبير، كأكبر حزب في روسيا، ومن هنا نعرف أن المستهدف هو الحزب الشيوعي.

يراهن يلتسين بقرار إقالة «ستيباشين» على رفض الدوما الموافقة على بوتين لثلاث مرات متتالية، الأمر الذي يسمح له وفقاً لقانونه الذي صاغه على مقاسه بحل مجلس الدوما وإعلان حالة الطوارئ ولكن جميع المؤشرات والدلائل تشير إلى أن الدوما لن يعطي هذا السلاح ليلتسين، وبالتالي ستفوته هذه الفرصة.

المحاولة الثانية من قبل يلتسين كانت بضغطه على «منتير شمايف» الرئيس الحالي لجمهورية تترستان في روسيا بالانضمام لتحالف مع «يوري لوجكوف» محافظ موسكو ومحاولتهم إقناع «يفغيني بريماكوف» لقيادة التحالف.

فـ «لوجكوف» كان سنداً حقيقياً ليلتسين في العديد من المناسبات أبرزها حل البرلمان وقصفه بالدبابات، وكذلك في حربه ضد الشيشان وكان الخلاف بينهم على موضوع شركة خاصة بزوجة لوجكوف من أنها تساهم في غسل الأموال القذرة.

وشمايف هو أكثر الناس قرباً إلى يلتسين. وهو أسس حزبه «كل روسيا» أساساً وفي ذهنه أن يقوده يلتسين، ولكن اللافت للنظر أنه وقبل اندماج حزب لوجكوف وشمايف بساعات قليلة كان هناك لقاء بين شمايف ويلتسين الأمر الذي يعني أن يلتسين وبكل تأكيد وراء هذه الصفقة ولمعرفة هؤلاء برصيد «بريماكوف» فقد دعوه ليتولى رئاسة الحركة، الأمر الذي يعني تشكيل تكتل قوي أمام الشيوعيين في الانتخابات القادمة.

ومن المؤكد أن مستشاري يلتسين، نصحوه بالتخلي عن فكرة ومحاولة تعزيز معسكر اليمين أمثال غيدار وتشوبايس ونيمتسوف وتشرنوموردين، حيث أن هؤلاء وأحزابهم يسيرون باتجاه الزوال، سيما وأن وراءهم في ذلك كل من بيريزوفسكي وابراموفتيش اليهوديان اللذان يسميان طاغوت المال الروسي وابنة الرئيس تاتانيا. وهو الثالوث المشؤوم وسط روسيا حيث أن كل مصائب روسيا في هذا الثلاثي.

وبالرغم من ذلك، فإن بيريزوفسكي الملقب بصانع الرؤساء في روسيا بدأ بالهجوم باتجاه الصحافة والإعلام، من خلال توسيع امبراطوريته الإعلامية وذلك بشراء إحدى أهم الصحف الروسية وهي «كوميرسانت ديلي» فهو يتملك حالياً قناتين تلفزيونيتين وعشرات الصحف والمجلات، وفي ذهنه أن الإعلام وحده هو القادر على صنع الرأي العام وتوجيه الرياح حسب ما يشتهي.

وبالتالي فإن حاشية الرئيس هم المسيطرون على وسائل الإعلام التي ستدفع الناخب الروسي وبالإتجاه الذي تريده إلى صناديق الإقتراع. الأمر الذي يعني أن يدفع هؤلاء في الانحياز باتجاه من هم أقرب لهم وإن كانوا على خلاف معهم في بعض القضايا، سيما وأن الشيوعيين يقفون بالمرصاد وفرصتهم ستكون قوية إذا لم يتم تشكيل تيار من الوسط يمكن المراهنة عليه.

عملياً يرى المقربون من يلتسين عدواً في لوجكوف، ولكن دخوله في تكتل مع شمايف يضع علامة استفهام كبرى على هذا التكتل. وبالتالي من المرجح أن تكون شعارات لوجكوف جميعها مجرد كلام للاستهلاك السياسي فقط للوصول إلى سدة الحكم. ومن ثم يتم ترتيب الأمور وفق ما يشتهيه السيد يلتسين. سيما وأن يلتسين وابنته وبيريزوفسكي يفضلون أن تقوم الدنيا وأن تدمر روسيا بأكملها على أن يعود الشيوعيون إلى سدة الحكم. لأن ذلك سيعني انتهاءهم عملياً.

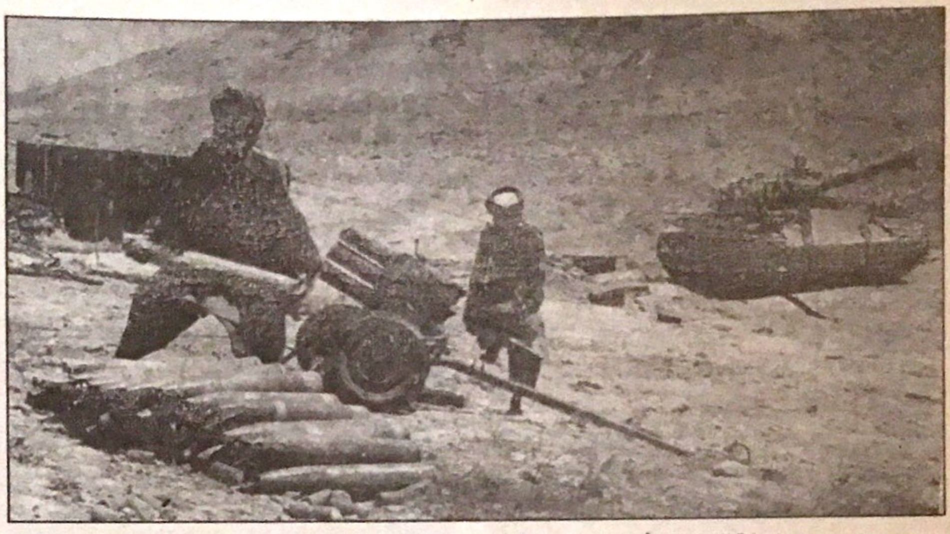
أمام كل ذلك، وفي الوقت الذي تتعقد فيه الأمور داخل روسيا سواء على الصعيد الاقتصادي والاجتماعي أو السياسي فإنه لم يعد في أولويات الشعب الروسي سوى رحيل القيصر الجديد، ومن هنا تأتي خطورة أن يتم استغلال هذه النغمة لاستبدال القيصر بآخر. وذلك من خلال الترويج إعلامياً لبديل عن يلتسين يجاريه في سوئه.

كلما اقترب الاستحقاق الانتخابي في روسيا، كلما ازداد الخوف من القادم فيها. فكان الله بعون الروس، للخروج من أزمتهم القاتلة، فرئيسهم لن يتوانى عن حرق روسيا مادامت الأمور لاتسير في الاتجاه الذي يراه لازماً ■■

بعد حصيلة المعارك الأخيرة شمالي العاصمة كابول:

حركة «طالبان» تتجه نحو حسم الصراع مع المعارضة

عصام حامد



بعد سلسلة المعارك الأخيرة التي شنتها حركة «طالبان» في نهاية شهر تموز الماضي شمالي شرقي العاصمة كابول ضد قوات التحالف الشمالي بقيادة أحمد شاه مسعود، أصبح من الواضح بشكل جلي أنها تتجه نحو حسم الصراع ميدانياً مع المعارضة الأفغانية بدلاً من اللجوء إلى أسلوب الحوار والمفاوضات في حل خلافاتهما لإنهاء الصراع الدائر في أفغانستان منذ سنوات طويلة، والذي من شأنه أن يزيد المشكلة تعقيداً ومأساوية.

فقد شنت حركة «طالبان» هجمات واسعة على قوات المعارضة الطاجيكية بقيادة الجنرال أحمد شاه مسعود، وحققت بعض التقدم واستولت على بلدات عدة في منطقتي تاغاب ونجراب في ولاية كابيسا، ومنطقة كوة صافي الجبلية في ولاية بروان شمالي شرقي العاصمة كابول.

وكانت حركة «طالبان» تسعى منذ عدة شهور لتطهير منطقة «دارسوف» من مقاتلي المعارضة بهدف تعزيز قبضتها على مدينة «مزار الشريف» ومناطق استراتيجية أخرى في شمال أفغانستان لبسط سيطرتها على أراضي البلاد.

وقد أدى سقوط «مزار الشريف» في آب/ ٩٨ (العام الماضي) في يد حركة «طالبان» إلى إضعاف قوى المعارضة الأفغانية التي لم يتبق منها سوى الطاجيك بقيادة أحمد شاه مسعود وبعض الجماعات العرقية الصغيرة والتي لاتزال تسيطر على مساحة (٢٠٪) تقريباً من أفغانستان، بينما الـ (٨٠٪) أو أكثر وهي المساحة الكبرى التي لاتزال تحت سيطرة «طالبان».

وكان القتال الأخير، قد تفجر في منطقة «دارسوف» في نهاية شهر تموز الماضي، بعد فشل محادثات السلام التي أجريت بين الفصائل الأفغانية المتناحرة في منتصف الشهر نفسه، في طشقند عاصمة أوزبكستان برعاية الأمم المتحدة المسمى مجموعة (٦+٢) أي الدول المجاورة لأفغانستان، بالإضافة إلى أمريكا وروسيا.

وكان موفد الأمم المتحدة لدى أفغانستان الأخضر الإبراهيمي قد قال إثر هذا اللقاء: «إن الجانبين المتحاربين بعيدان عن التوصل لسلام دائم، وأن هذه الخطوات رغم أنها مشجعة لم تقترب من حل سلمي للنزاع في أفغانستان».

وقد أشاع وصول حركة «طالبان» إلى المناطق المحاذية للحدود مع طاجكستان قلقاً كبيراً في عواصم آسيا الوسطى، وجاء ذلك في وقت صدرت عن أوساط القائد الطاجيكي أحمد شاه مسعود نداءات استغاثة إلى المجتمع الدولي.

وقد أكدت المعارضة الأفغانية أنها عززت مواقعها في شمال العاصمة كابول غداة الهجوم المضاد الناجح على قوات «طالبان»، وقالت أيضاً: أنها استعادت معظم الأراضي التي خسرتها، وأعادت خطوط الجبهة إلى مواقعها السابقة قبل هجوم «طالبان» الأخير.. كما تمكنت من استعادة قاعدة بغرام الجوية الهامة بعد ساعات فقط من استيلاء «طالبان» عليها.

وقد أقرّ وزير الإعلام في حكومة «طالبان» أمير خان متقي: «بأن قواتها اضطرت إلى الانسحاب من جميع مدن شمال أفغانستان، حيث غالبية السكان من الطاجيك»..

وقد أظهرت نتائج المعارك الأخيرة في أفغانستان، سقوط مئات القتلى في صفوف «طالبان»، وبعد قتال دام أكثر من أسبوعين لم يحصل فيه أية اختراقات كبيرة على طول الجبهة بين الطرفين المتحاربين، اضطرت «طالبان» لاستخدام سياسة «الأرض المحروقة» حيث تمكنت أخيراً من الاستيلاء على بلدتين استراتيجيتين هما «سراي خواجه وكلكان»، بعد أن اخترقت خط الجبهة على بعد (٣٠) كم عن العاصمة كابول، وقد اعترفت المعارضة الأفغانية بخسارة مواقع لها شمال كابول، وأكدت المعارضة: أن طالبان أحرقت المنازل ودمرت المحاصيل في المناطق التي احتلتها لردع السكان الذين هربوا من المعارك عن العودة لبيوتهم..؟! وتهدف «طالبان» من وراء ذلك إلى إكمال عملية النقل القسري للمدنيين ومن بينهم النساء والأطفال، كما دعت «طالبان» قوات المعارضة إلى الاستسلام واغتنام فرصة عفو عام أصدره زعيمها الملا محمد عمر في فترة سابقة، وهذا هو ثاني عرض بالعفو تصدره «طالبان» هذا الشهر (آب/ ٩٩) الحالي، وذلك كي تدفع إلى الخلف خط جبهة قوات مسعود على سهول «شومالي» شمال كابول العاصمة، وقد اتهمت الأمم المتحدة حركة «طالبان» بإرغام السكان على الرحيل عن قراهم.. وتوقعت حصول نزوح كبير للاجئين جدد في الأيام المقبلة..

ورداً على هذه التطورات شنت المعارضة الأفغانية عدة هجمات ضد «طالبان» في وسط وشرقي البلاد، واستولت على بعض المقاطعات، وذلك بهدف الضغط على قوات «طالبان» التي تقوم بحملة واسعة على قوات مسعود شمال كابول.

وتتزامن مع هذه الحملة العسكرية التي تشنها «طالبان» على قوات المعارضة.. الذكرى الأولى لتفجير سفارتي الولايات المتحدة الأمريكية «نيروبي ودار السلام» قبل عام، والتي راح ضحيتها (٢٥٠) شخصاً بين قتيل وجريح، بينهم (١٢) أمريكياً، حيث جددت واشنطن مطالبتها حركة «طالبان» بتسليم أسامة بن لادن المنشق السعودي الذي يعتقد أنه موجود في أفغانستان والذي تتهمه أمريكا بالوقوف وراء تفجير السفارتين.

وبهذا الصدد.. فقد فرضت واشنطن عقوبات جديدة ضد «طالبان» تمثل ذلك بتجميد أرصدة في البنوك الأمريكية عائدة لشركة الخطوط الجوية الأفغانية «أريانا» والتي تبلغ (٥٠٠) ألف دولار.

وتهدف هذه الخطوة إلى تشديد الضغط على حركة «طالبان» لتسليم ابن لادن.

وقد نقلت شبكة «سي. ان. ان» الأمريكية عن مسؤول أميركي رفيع المستوى مؤخراً: «أن الولايات المتحدة تتفاوض مع حركة «طالبان» الحاكمة في أفغانستان لمحاكمة ابن لادن في بلد ثالث، وقد أكدت مصادر موثوقة في «طالبان» حصول هذه المفاوضات».

وبعد كل هذه المصاعب والإشكالات التي تعانيها أفغانستان.. أليس من المفارقات الغريبة أن تتفاوض «طالبان» مع واشنطن بهدف الوصول إلى تسوية في موضوع تسليم أسامة بن لادن في نفس الوقت الذي تشن فيه حملة عسكرية واسعة النطاق على قوات المعارضة الأفغانية بهدف تصفيتها أو إضعافها على أقل تقدير؟! بدلاً من اللجوء إلى أسلوب الحوار والمفاوضات معها لحل النزاع الدائر بينهما بالطرق السلمية.. حقناً لدماء الشعب الأفغاني المنكوب الذي عانى طويلاً من ويلات الحروب والدمار والجوع والفقر ■■

قضايا ثقافية

الهدف الثقافي

رسالة محمود درويش إلى سميح القاسم في ميلاده الستين

علامة مضيئة.. وترفّع نبيل!

رسالة محمود درويش المفتوحة إلى سميح القاسم في عيد ميلاده الستين، المنشورة في العدد الأخير من مجلة «الكرمل» ليست مجرد شهادة عاطفية، بمناسبة ما، يطلقها شاعر كبير في حقّ شاعر كبير آخر شكل على امتداد السنوات توأمه الشعري والصداقي، رغم الشوائب التي عكرّت مسار هذه العلاقة أحياناً، ورغم تداخل الغيوم.. التي حجبت أحياناً أخرى بعض حقائق وخصوصيات تجربة كل منهما، وخياراتهما، لاسيما عند المنعطفات الحادّة التي أثير فيها الغبار، فاختلطت معها الرؤى والتبست المعايير.

وهي ليست فقط مجرد كلام، يريد منه درويش أن يفتح صفحةً جديدة بيضاء في عمر هذه العلاقة التي نهضت «من قاع النسيان إلى ذاكرة الجماعة»!.

وهي ليست إضافة إلى الرسائل المتبادلة القديمة بين درويش والقاسم، الغاية منها توضيح المواقف، وتحديد التخوم والاختلافات والمواقع لكلّ منهما في المشهد الشعري والابداعي، ومدى اقترابه (في هذا الموقف أو ذاك) من معايير ومقدسات النظام السياسي القائم، ومنظوماته الفكرية والسياسية، أو في مدى ابتعاده عنه..

إنها ليست كل هذا، بل هي شكلٌ من أشكال البوح الجميل، ينساب على لسان شاعر كبير، أراد أن يضع النقاط على الحروف، ليصحّح بعض ما خرج (في زحمة السجال) عن سياق المعنى.

هي اعتراف صادق وجميل، سيكون علامة مضيئة في تاريخ الثقافة الفلسطينية والعربية تؤسّس لتقاليد علاقات عميقة وراسخة بين المبدعين العرب تعترف بمساحة الآخر، ومكانته الابداعية بعيداً عن الإحساس بالعقد، وترفعاً عن الاستغراق في الصغائر.

هي مساحة حرّة للمكاشفة الصريحة، الهادئة أراد درويش من خلالها أن يعيد للصورة (التي حكمت مسار هذين العملاقين) نقاءها، وللموقف توهّجه.

هي لم تهدف إلى تحديد من أخطأ هنا، ولا في ذكر من أصاب هناك، لأن المغزى أكبر وأرقى من ذلك بكثير، إنها شكل من أشكال الترفع والسمو النبيل لقامة شعرية تعرف نفسها حق المعرفة، ولا يضيرها أن تعترف بالمساحة العريضة، والهامة العالية التي يشغلها الآخر في المشهد الشعري والإبداعي..

بل لايضيرها أن تكشف عن نقاط القوة والتمايز عند منافسها: «حين ألتفت الآن إلى الوراء، أرى الوراء أمامي، أرى كهولة تتقدم نحو الطفولة، أرى المجهول قابلاً لملامسة الحواس، أحسّه طازجاً يحرّضنا على الطيران في أفق مليء بالمغامرة، وأراك يا سميح، أقربنا إلى صورة الشاعر الفارس، لغةً وهبوباً وشبق حياة. لقد شربت من خمرة الصعاليك ما يكفي لتدير لهم ظهرك، باحثاً عن نظام إمارتك الخاصة، عن قصيدتك التي تؤسّس هوية البركان. ولا ترضى إلا بما ينقصها من غدٍ أجمل، لتواصل الانشاد».

طوبى لمحمود درويش شاعراً وإنساناً

طوبى لهذا الترفع الجليل!

وطوبى لسميح القاسم «فتىً في الستين»، «لم يصغ إلى إغواء حداثة تضع داخل الشاعر نقيضاً لخارجه».

وطوبى لهذه الأمة، أنجبت شعراء «مثقلين بمسؤولية عجز الجرح عن كسر السكين».

طوبى لهذا الوعي.. يفتح الأفق أمام مجرى جديد! ■■

حلقة (٢)

إميل حبيبي: محاكاة الآخر وحدود الموروث

د. فيصل دراج

يحاكي إميل حبيبي كنديد فولتير، ويأخذ منه تقسيم الكتاب أيضاً. يقسم فولتير كتابه إلى ثلاثين فصلاً، تساوي ثلاثين حكاية، لايختلف مسار عناوينها عن المسار الذي اقتبسه حبيبي، مثل: «كيف نشأ كنديد في قصر رائع وكيف طرد منه، وما آل إليه كنديد بين البلغار، كيف نجا كنديد بجلده من بين أيدي البلغار، كيف التقى كنديد معلمه السابق... العاصفة والغرق والزلزال وما جرى للعلامة بنغلوس...، كيف نفذ حكم تفتيشي رائع بالحرق لمنع الزلزال وكيف جلد كنديد على عجيزته، كيف عنيت بكنديد إحدى العجائز، قصة كونيكند، ملحق بمصائب العجوز، كيف أكره كنديد على الإنفصال عن الحسناء كونيكند وعن العجوز،...» توازي عناوين حبيبي العناوين الموجودة في كتاب فولتير، وتحظى «كيف» بمكانها الواسع في كتابي المؤلفين، مهيئة للقارئ ليلتقي بما سيلتقي به، باستثناء فرق بسيط بين الطرفين: ففي مقابل كلمة «فصل» التي يستعملها فولتير، يكتفي حبيبي، وهو يكتب صفحات موازية ونظيرة في طولها، بالترقيم الذي يحدّد عدد الحكايات أو عدد الفصول.

يحتضن التناظر أيضاً الشخصيات الأساسية الموجودة في الكتابين. فقبل أن يبدأ الفيلسوف الفرنسي كتابه، يشير في ورقة مستقلة إلى شخوص الرواية الأساسية وهي: كنديد، الذي «يرتاب في أنه ابن غير شرعي انجبته أخت البارون، وهو عاشق لكونيكند»، و«كونيكند» التي ظل كنديد يتبعها طوال رحلته، والعلامة المتفائل بنغلوس.. ومن دون الوقوع في مقايسات مدرسية عقيمة، فإن حبيبي، الذي فتنه فولتير، يقتبس منه «المتشائل» وحبيبته «يعاد» اللتين، رغم بعض الفروق، تساويان كنديد وكونيكند.

يهجو فولتير، وقد خابت آماله، في أشياء كثيرة، فلسفة التقدم، التي اعتقدت أن الإنسان لن يذهب إلى السماء لأن الفردوس الموعود سيأتي إليه. وبغية تحقيق هدفه، روائياً، يتخذ من الفيلسوف الألماني ليبنتز هدفا له، بعد أن وزّع فلسفته على الحكيم بنغلوس، الذي يعني اسمه «كل اللغات»، وعلى شخصية كنديد، المؤمن إيماناً بما جاء على لسان الحكيم الكبير. أمّا إميل حبيبي فيهجو الوجود الإسرائيلي، الذي يرى في ذاته تتويجاً للخليقة. ولأنه فاعل ما فعل، في سياق مختلف فإنه يجمع ليبنتز وبنغلوس وكنديد في شخصية واحدة، هي شخصية «سعيد أبو النحس المتشائل». غير أنه وهو يحذف ويضيف، يحتفظ بمنظور كنديد وبنيته الفنية، حتى وهو يحاول أن يعطف عليها بعض الإنزياح في صفحات روايته الأخيرة. فـ «المتشائل»، كما كنديد وبنغلوس، متمسك بما بدأ به، يهاجم الشك ولايستسلم إليه، ومستمر في الإنقياد إلى معقول مهلك، إذ التفاؤل محمول على تجربة يومية قوامها التعاسة. بيد أن الإستمرار العابث لايلبث أن يقسم «المتشائل» كما مرجعه الروائي، إلى شخصيتين وأكثر: فهو، في فعله المستمر، قريب من المهرج في الحكاية، تخترقه الحكايات وتذوب ولايتغير في أمره شيء، وهو في قوله العابث، قريب من فيلسوف مراوغ، لايرفع الحجاب عن وجهه إلا ليعيده من جديد.

ولن تكون كوينكند، التي عشقها كنديد، إلا صورة أخرى عن يعاد، التي كلما التقى بها «المتشائل» أضاعها من جديد. مع فرق في مآل المعشوقتين مرتبط باختلاف السياق. فالمعشوقة الأولى يتداعى جمالها ولا يعود، إذ أنها وجه من وجوه الخيبة التي تندد بالتفاؤل وبالقائلين به. والمعشوقة الثانية، وبسبب اختلاف السياق، تعود ولا تعود، تشيخ ولا تشيخ، فهي أمنية إنسان متطايرة يتطاير متمسكاً بأماني الطفولة. يقول «المتشائل»: «عادت يعاد فإذا بها ليست يعاد.. باقة ورد في عرس المستقبل وأكليل زهور ناضرة على قبر الماضي في وقت معاً.. يمكن الإشارة هنا، وكما فعل بول جيار في دراسته لكنديد، إلى وضع «يعاد» و«كوينكند».. الذي ينقض، في التصور الساحر الغارق في التشاؤم، وضع المرأة الفاتنة في الرواية الرومانسية[13]. فالحب - هنا - يأتي ثم يذهب ويعود ليرحل من جديد، مودّعاً بمثل ما استقبل به من الضحك العابث وعبث الكلمات. ولن يبتعد حبيبي، وهو يرسم «يعاد» أيضاً، عن النموذج الذي وضعه فولتير، الذي يعلن منذ البداية، أنه يحدث عن حب بعيد عن الآهات والمناديل المعطرة ولقاء الدموع. فقبل أن يكتب فولتير عن حبيبة كنديد القادمة، وقد «بلغت من العمر ربيعها السابع عشر فكانت متوردة البشرة، ناضرة، مكتنزة، شهّاء»[14] يومئ، أولا إلى أمها: «السيدة البارونة التي تزن زهاء الثلاث مائة وخمسين رطلاً وتحظى بوزنها ذلك على احترام فائق». يعبث فولتير بالحبيبة المشتهاة عن طريق الأم، كما لو كانت صورة الحبيبة الناضرة والمتوردة في بشرتها، صورة مؤقتة تحل فيها، ولو بعد حين، صورة الأم التي يؤمّن لها وزنها الثقيل احتراما كبيرا. والضحك الصامت الذي يبدأ به فولتير سطوره عن العاشق والمعشوق، يستعيره حبيبي لينشر ضحكاً آخر: «كتب المدير إلى أهلها، فارسلوا من ضربني في المحطة، فازددت هياماً بها، فضربت زميلي الذي وشى بنا. فوقعنا من القطار على رمل الشاطئ فلم نتأذ. وعدنا إلى حيفا مشياً على الأقدام بعد أن اغتسلنا في البحر. وأطعمنا الغوارنة خبز صاج بالزيت وبالملح وسرقوا المزودتين.. فرجعنا أعز الأصحاب حتى يومنا هذا. وأما يعاد، التي لم تعد إلى القطار منذ كتب المدير إلى أهلها، فلم أعثر لها على أثر، ولكن قلبي ظل مجروحاً بحبها». مايرويه حبيبي في الجزء الذي عنوانه: «ورود ذكر يعاد لأول مرة». يساوي، في دلالته وبنيته، في علاقته بالعاشق والمعشوق، ما كتبه فولتير في الفصل الأول، الذي عنوانه: «كيف نشأ كنديد في قصر رائع وكيف طرد منه». فالعاشقان، كلاهما يقعان في الحب صدفة، ويكتشف أمرهما في صدفة أخرى، ويعاقبان بلا احترام، من قبل الأهل، الذي يفصلون، بفظاظة بين المعشوقين. تعادل جملة حبيبي: «فارسلوا من ضربني في المحطة. فازددت هياما بها». جملة فولتير: «وهذا المسبّب أطرد كنديد من القصر بركلات قوية على عجيزته». والجمل القليلة اللاحقة التي يكتبها فولتير تتصادى بدورها في جمل إميل حبيبي الموازية. يكتب الأول: «فاغمي على كونيكند. وما أن عاد إليها وعيها صفعتها السيدة البارونة. ووجم الجميع في أجمل القصور الممكنة وابدعها». أما الثاني فيكتب عن شجار الصديقين القادمين شجاراً لا أذى فيه، وعن رحلة ربحا فيها شيئاً وخسرا شيئاً آخر. لايصل المحبوب إلا ويصل معه اختفاؤه، في بدايات اللقاء المتوالدة، ولايحضر إلا وحضر معه ضحك عابث يختلس هالته المتأنقة.

يكتب بول جيار: «يحضر كنديد في شكل حكاية يرويها سارد مجهول...» تبدأ الحكاية بما تبدأ به الحكايات الأخرى:...«كان يقيم في وستفاليا، في قصر السيد بارون تندر - تان - ترنح فتى حبته الطبيعة...». ومع أن إميل حبيبي الذي يحيط بجوهر الحكاية يضع الحكاية على لسان سارد معروف الاسم واللقب فإنه يأخذ - كفولتير - بما يؤمّن لحكايته واقعية وموضوعية ظاهرة. فالفيلسوف الفرنسي، الذي أتقن أساليب التحوّط والإحتراز، يكتب بعد العنوان مباشرة: «ترجمه من الألمانية السيد العلامة رالف، مع الاضافات التي وجدت في جيب العلاّمة حين مات منذ سنة ١٧٥٩». أما حبيبي فيبدأ عمله بالسطور التالية: «كتب إلي سعيد أبو النحس المتشائل، قال...» كما لو كانت إلي، أي المحترم، الذي تلقى الرسائل العجيبة. فاصلاً بين الحكاية والرواية وقناعاً يعطي الحكاية شكل وثيقة صادقة. فـ «المتشائل» يروي حكاياته من خلال وسيط، ليؤكّد اختفاءه ويؤكّد، في اللحظة عينها، أن ما يقول به له شكل الحقيقة، حتى إن تضمن مبالغات ترمي على القارئ بأسئلة كثيرة.

إضافة إلى ما سبق هناك المكر الذي يتوزع على النصين، الصادر عن شخصية تقول ولا تقول، تفصح وتحجب، تظهر وتخفي، مستمدة قوامها كله من تعارض متوالد، يستحضر أنصاف الأشياء ويدع الأنصاف الأخرى معلّقة في غير أماكنها. لكن التعارض، وقوامه المكر والسخرية، يضاعف الأنصاف ويجعل منها وحدات كاملة مضاعفة الحضور، تخبر عن واقع ظالم لا إنسانية فيه ولا عدالة. يأتي النصف الأول عن شخصية ساذجة ومتفائلة تخلط الواقع بالسعادة وتغدق الفرح على ما حولها، ويصدر النصف الثاني عن شخصية ساخرة تنتج، في سخريتها، مسافة بينها وبين الأشياء، قارئاً يتأمل الساذج ولايشاطره جمله التائهة. تضبط المسافة، التي تخلقها السخرية، العلاقة بين القارئ والنص، بعد أن تنظم العلاقة بين الجملة الساخرة والواقع الأليم.

لايكتفي فولتير وهو ينسج أسلوبه الساخر، باللعب اللغوية، بل يذهب إلى

«الهدف» ٢٢ آب ١٩٩٩ - العدد ١٢٩٦

حدود التلاعب بقواعد الصرف والنحو، ذلك أن القول الساخر لايصل إلى أشدّه، إلا إذا عبث باللغة ومارس تكسير القواعد اللغوية المألوفة. يستلهم حبيبي وهو المولع بلغة صقيلة ومبهرة في صقلها، روح الأسلوب الفولتيري، خالقاً ما يشاء في حدود الجناس ولعبة الكلمات. ففي فصل من فصول كتابه، عنوانه «حديث شطط في الطريق إلى سجن شطة»، نقرأ الجمل التالية: «ولفظتها بلغة عبرية فصحى لأقنعهم بعلو كعبي وحتى أقوم من تحت أكعابهم وكان يقول، وأنا أمتثل: أحيينا الموات وأمتنا الحيات (وكان يعني الأفاعي).. وورثنا هذا الرحب بهذه الحرب، قال: أفحمه، قلت: بل وفخمه..» ويقول في الفصل الذي سبقه، وعنوانه: «كيف أصبح علم الإستسلام، فوق عصا مكنسة، علم الثورة على الدولة؟»: «أما كيف دخلت السجن فذلك حين أفرطت في الولاء حتى أصبح، في عرفهم، تفريطاً، فما أن أشرف على الناس هذا الشرشف حتى شرفني معلمي يعقوب بزيارة.. قال: أصبح الرجل الكبير يعتقد بأن افراطك هو تمويه على تفريطك.. بل أن حبيبي يوحّد بين الكلمات ومواضيعها إلى حدود الابانة المفرطة، ذلك أن «سعيد» يعشق «يعاد» ويتزوج «باقية» وينجب «ولاء». تزيد الكلمات من توتر المعنى، قائلة بمعنى ظاهري، ومشيرة إلى معنى آخر. وهذه المسافة، بين المقال المحتجب تردّ إلى انقسام الرواي من ناحية، وإلى نقض الساخر للساذج من ناحية ثانية».

لاصعوبة تذكر في إقامة علاقة أخرى بين «متشائل» حبيبي، و.. «الجندي الطيب شفيك»، العمل الكبير الذي كتبه التشيكي ياردسلاف هاشيك في عام ١٩٢١. فرفض الواقع في صيغة هجائية موجودة في الكتابين، ويتوزع على الكتابين أيضاً تكنيك الحكاية المتوالدة. وهاشيك، كما فولتير، يوزّع روايته على عدد من الفصول، ترتسم فيها الشخصية الأساسية وتتنامى: «الجندي الطيب شفيك يتدخَّل في الحرب الكبرى، الجندي الطيب شفيك في مقر رئاسة الشرطة، شفيك أمام الخبراء الطبيين، شفيك يرمى به خارج مستشفى المجانين، شفيك في مخفر الشرطة..»[15]. إلى جانب هذا، فإن ما يقيم علاقة وثيقة بين حبيبي وهاشيك يعود، لزوماً إلى شخصية شفيك، التي هي شخصية «المتشائل» وقد وُضِعت في سياق آخر، يختلف في الموقع والتاريخ والثقافة، ولايختلف في الدلالة التاريخية للسياق. فالسيد شفيك، الذي تكمن إيجابيته في لا إيجابيته كما قال بريشت مرة، «طرد ممن العسكرية على أساس أنه أحمق برخصة كما يقول الجميع، مع أنه أبعد ما يكون عن الحمق. فهو قادر على جعل نفسه «يبدو» كأحمق وذلك للتخلص من حالة ما. فشفيك يتحدث معظم الوقت حديثاً مزودج المعنى. إنه يتظاهر بأنه يتفق مع كل شخص يتعامل معه، وخاصة إن كان هذا ضابطاً رفيع المرتبة. ولكن السخرية الكامنة وراء تعليقاته أمر ممكن إدراكه. وليست ملاحظاته وشروحه هي الساخرة فحسب بل الكثير من تصرفاته أيضاً. ومن الأمثلة على ذلك جهوده «الواضحة»» للوصول إلى الجبهة عن طريق إظهار وطنيته وإخلاصه للملكية، حين يكون واضحاً أن تصرفاته لاتؤدي إلا إلى إعاقة تحقيق ذلك الهدف المعلن»[16].

يرتاح «المتشائل» إلى «ولاء الإفراط في الولاء للدولة»، ويتحول «الإفراط في الولاء» إلى «تفريط»، يفضي إلى نقيض القصد الظاهر. ويركن شفيك، الرافض للإمبراطورية النمساوية ـ الهنغارية الجاثمة فوق صدور التشيكيين، إلى سياسة «الإفراط» الذاهبة إلى «التفريط» فهو يصف براحة كبرى آثار الذباب التي غطت صورة الحاكم مظهراً، في النهاية، غيرته على الحاكم وضرورة حفظ صورته نظيفة. وهو ينزل إلى الشارع وحيداً، وفي فترة تطلب فيها الحكومة من الشعب أن يلوذ بالصمت، ليهتف بشعارات تمتدح الحكم وتتمنى بقاءه. وهو يعرب عن انبهاره بخفة الملائكة التي تسبح في السماوات ويسأل، في النهاية، عن نوع «الموتور» الذي يسعف على الطيران.. يتأمل شفيك، «أحوال الحرب العالمية»، متدثراً بملابس حماقة، ما هي بالحماقة، تتيح له القول دون عقوبة كبيرة، وتسمح له بالفعل دون تهديد كبير. وهو، فيما يقول وفيما يفعل، يطمئن إلى وجه نصفه قناع وإلى قناع بلاعب الوجه ولايخفيه. ولذلك تنقض مقدماته النتائج التي يسعى إليها، وتنفي نتائجه المقدمات التي انطلق منها. غير أن على النهاية «الطيبة» أن تشفع للبداية التي لاطيبة فيها، مثلما أن على البداية «الجميلة» أن تشفع لنهاية لانظافة فيها. يلغي الحرص على نظافة صورة الحاكم وقع الجملة المحدثة عن القذارة التي تحط فوق المحيا المهيب، ويخفّف الإنبهار بعظمة الملائكة آثار الجملة المتزندقة، التي تعطف «الموتور» إلى الجسم الأثيري.

يلتقي إميل حبيبي مع فولتير وهاشيك فوق أرض يعشقها وتوائمه هي أرض الحكاية. بل يمكن القول: انجذب الكاتب الفلسطيني إلى حكايات فولتير وهاشيك، قبل أن ينشد إلى الضحك الأسود المبثوث في الحكايات. والحكاية قوام ثقافته، والضحك الأسود طارئ أسقطه الزمان عليه. يقول بول جيار: «كنديد حكاية شرقية تأتلف مع الصور النضرة والناعمة، ومع لحظات راحة يتطلبها هذا العالم القاسي والمليء بالعبث»[17]. ويقول شفيك «الطريقة التي أروي بها قصتي هي الطريق التي تحكى بها كل القصص في بلدي، ولا أعرف طريقة أخرى أحكيها بها»[18]. إن كان ما جاء على قلم فولتير «حكاية شرقية»، وما رواه شفيك حكاية شعبية، فإن ما اطمأن إليه حبيبي، وبارتياح كبير، موزّع على الشرقي والشعبي في آن.

انجذب إميل إلى الحكاية وأخذ معها، دون أن يدري تماماً، البنية السردية، التي تنثر الحكايات في نص كبير غير حكائي، أي أنه أخذ المحور الحكائي، وهو يظن أنه يحاور حكاية بأخرى، أو يكتب نصاً حكائيا عربياً فوق نص حكائي غير عربي. إن الحكاية التي يتقنها إميل حبيبي، لم يقيّض لها أن تنهدم وأن تبعث في حكاية، إلا بفضل محور حكائي حديث، يبني السيرة الذاتية بمسلسل من الحكايات، ويملأ السلسلة الحكائية بوقائع تاريخية، تنفي الزمن الحكائي القديم بثوابته المغلقة، وتستقدم زمناً روائياً، يحاور الشكل الحكائي بوقائع مفتوحة، تقوّض النسق الحكائي المعروف البدايات والنهايات. وبهذا المعنى، فإن حبيبي لايستقدم كنديد، كما شفيك، إلى صفحاته، إلا بقدر ما يرسلا إليه تصوراً روائياً يسعفه على كتابة رواية، دون أن يدري، يجعله يقتبس المنظور الروائي، وهو يظن أنه يحاكي نسقاً من الحكايات لا أكثر.

لايختزل عمل إميل حبيبي الجميل إلى تخوم الفرادة، إلى محاكاة يقظة أو شاردة. فهو اثر لمحاكاة مبدعة، تشتق علاقات العمل من سياقه المميز له، وتبنيه بثقافة عربية خالصة وببنية لغوية لاترد إلى بنية مغايرة. ولعل علاقة هذا العمل بسياقه تعينه العمل الأدبي الأعمق كشفاً عن وضع الإنسان الفلسطيني في بلده، الذي كان. فاليومي المعيش يستظهر في تفاصيله، والتفاصيل اليومية تظهر الأمس والغد وما بينهما، وتخبر عن ضحية تواجه جلادها وتظل ضحية. ومع أن رواية «المتشائل» تشاطر كنديد، كما شفيك، زجر واقع قوامه الاضطهاد والمقاومة، فإنها تقبض وهي تتأمل بشرطاً فلسطينياً لايشبه غيره، على خصوصية الضحية الفلسطينية والجلاد الصهيوني. فالذي بقي في أرضه بفضل معجزة، يحتاج إلى معجزة أخرى كي يموت فيها. ولأن المعجزة لاتزامل الإنسان، يكون على الفلسطيني أن يذهب في طريق خاص، لا تأتلفه نهاياته مع مقدماته، شأنه شأن «الجندي الطيب شفايك»، الذي ينصت إلى حفيف الملائكة في لحظة، ويتأمل أحوال الملائكة في هندسة الطيران، في لحظة لاحقة.

غياب النموذج ووضع الحكاية المكتفية بذاتها:

حظيت رواية «المتشائل» بنجاح كبير، قرّظ فيها الحكاية الشعبية وأصالة الموروث والموقف الوطني، وأغفل النموذج الذي حاكته إلى حدود النسيان. وبدا العمل، في القراءة التقريظية، تقريظاً للموروث الأدبي العربي، الذي يبني لوحده ما شاء من الأشكال الأدبية الحديثة. كأن الموروث وقد تزوّد بقراءة خاطئة يحتضن الأزمنة الأدبية كلها، أو يقف خارجها. وأعتقد إميل حبيبي، العاشق للتراث إلى حدود الفتنة، أن الحكاية نصرت روايته، وأن كنديد مشجباً ملائماً نشر فوقه حكاياته الجميلة. ولعل الخلط بين النسق الحكائي والفضاء الروائي، في مناخ ثقافي يحتفل بالعمل الأدبي وهو يحتفل بقضية صاحبه، وطّد قناعة حبيبي، التي لاتحتاج إلى توطيد، فتابع كتابة الحكايات، وهو يظن أنه يكتب رواية وأكثر.

أعطى حبيبي، الصحفي المشغول بالسياسة والسياسي الذي يحيل إلى الأدب، بعد «المتشائل» عملاً آخر هو: «لكع بن لكع» وجاء العمل مساوياً لقناعات صاحبه، أي جملة من الحكايات، تتوسل الموروث الشعبي وتتسلح بأفكار سياسية، دون أن تعثر على بنية أدبية تذوب فيها العلاقات الثلاث. بقي عمل حبيبي رغم جهده التجديدي، في مكانه: جملة لوحات متوازية، «تتوحد» في القول الخارجي الذي يمليه الكاتب عليها (نقد الواقع العربي)، بدلاً من أن يوحدها قول أدبي صادر عنها، لأنه ظل هارباً ولايمكن العثور عليه. لقد وقع حبيبي، وهو يكتب «لكع بن لكع» على مواد أدبية تراثية، أضاف إليها «صندوق الدنيا» وأشياء من الضحك الأسود ولعبة الكلمات. لكن المواد تمرّدت على النص الذي احتضنها، بسبب غياب التحول الأدبي، الذي يجعل كل علاقة أدبية تقرأ في غيرها من العلاقات، قبل أن تقرَأ كعلاقة منفصلة.

بذل حبيبي جهداً إضافياً وهو يكتب عمله اللاحق وعنوانه: «أخطية»، دون أن يعطي «متشائل» آخر، ولا ما هو قريب منه، لأنه أخطأ البنية الروائية مرة أخرى. وواقع الأمر أن الكاتب الفلسطيني، الذي رحل في عام ١٩٩٦، كان يكتب نصاً خاصاً به، تتمازج فيه، وبمقادير لامتكافئة، أشياء من السيرة الذاتية والوقائع اليومية تحت السيطرة الإسرائيلية ونقد سياسي أقرب إلى التلميح. بيد أن مرجعه الكتابي ظل ينوس بين المادة التراثية والتصور التراثي للكتابة واللغة، إذ الكتاب مؤرخ وما هو بمؤرخ، وإذ غاية الكاتب تقوم في اللغة المصنوعة قبل أي شيء آخر. ولهذا تنفتح الرواية على بيتين من شعر المتنبي، يتلوهما «احتراس» ينكر وجود أي شبه بين شخصيات «الرواية»، وشخصيات واقعية محتملة. يعقب، ذلك صفحة جديدة

يتصدّر أعلاها عنوان هو: «الدفتر الأول» الذي تأتي بعد مباشرة. وبخط كبير كلمة: شخوص، ثبّت تحتها خمسة أسطر من «مروج الذهب» للمسعودي.

يبدأ حبيبي «احتراسه» بالكلمات التالية: «وجدتني لأول مرة مضطراً إلى تصدير روايتي هذه بالإحتراس التقليدي الذي تواضع عليه كتاب الغرب. وهو أن هذه الرواية هي بنت خيالي الشرقي المجنّح..»(١٩). ما يلفت النظر في الكلمات، التي لاتتحرّر من الهزل، موجود في كلمة «الرواية» التي تتكرر مرتين. مع ذلك فإن إميل يبني «روايته» التي تخيّلها ناسياً أن كنديد، الذي لم يلتق به هذه المرة، لن يسمح له بكتابة الرواية، بل برواية الحكاية، كما يرويها الأقدمون، مع تعديل طفيف. ولهذا يبدأ «روايته» بالسطور التالية: «كان والدي... هو أول من ألقى علينا لغز الأمير الفاضل الذي لم يهتد إلى حله سوى ابن الوزير الأصغر». يعطف إميل «لغز الأمير الفاضل» على اللغز القائم في سطور المسعودي، التي تقف تحت «الدفتر الأول» ليصوغ لغزاً جديداً، يقرأ من خلاله وضع الإنسان الفلسطيني في شروط الإحتلال.

يكتب المسعودي في «مروج الذهب»: «في هذه السنة ظهر للمعتضد شخص في صور مختلفة في داره، فكان تارة يظهر في صورة راهب ذي لحية بيضاء وعليه لباس الرهبان.. وتارة يظهر بيده سيف مسلول..» ينتسب حبيبي إلى المسعودي، وهو يضع العنوان الأول في روايته المفترضة: «سيف من السماء مسلول»، كما لو كان المسعودي قد حلّ في كلمات الكاتب الفلسطيني، أو كما لو كان الأخير قد حمل شجون زمنه وذهب إلى زمن المؤرخ القديم. بيد أن حبيبي، وقد سكنته روح تراثية، لا يقبل بالمسعودي إلا إذا أدرجه في منطق الحكاية، التي لايكتب التاريخ إلا بها، رغم التباس العبارة. وبسبب البدء من الحكاية، لا من التاريخ الذي يبددها يتوزّع «الدفتر الأول» كما «المتشائل»، على عناوين توافقه: وهي: «سيف من السماء مسلول، الجلطة، الرامزور، محامي الأمة، الملثم، عطية». ولن تختلف استراتيجية الكتابة في «الدفتر الثاني» عنها في «الدفتر الأول». فبعد العنوان يأتي قول قديم، فعدد من العناوين ذات الأرقام المحددة، فعدد من الحكايات يساوي الأرقام ويفيض عنها.

وصل إميل إلى رواية «المتشائل» معتمداً محوراً حكائياً، تنظّم علاقاته سيرة ذاتية لإنسان محدد القدر والمصير. فالمحور الحكائي، في ذاته، لايفضي إلى شيء، إن لم تندمج حكاياته في بنية شاملة تتضمن المحور وتتجاوزه في آن، كما لو كان المحور لايوجد إلا في وظيفته الروائية التي تستولده، في لحظة وتلغيه في لحظة تالية، مؤكدة أولوية البنية الروائية على المحور الحكائي. وهذا يؤكد أن «المتشائل» قد صار إلى ما صار إليه، لا بسبب الحكايات التي تلازمه، بل بفضل كنديد وشفيك، أو ما شابههما، اللذين حدّدا وظيفة الحكايات في البنية الروائية، واستولد هذه البنية من السلسلة الحكائية. ولأن النموذج الروائي الذي حاكاه إميل، لا وجود له في «أخطية» فإن الكتاب، في دفاتره الثلاثة، يكون ما شاء أن يكون، دون أن يكون، لزوماً، نصاً روائياً.

ربما يعطي الفصل الأول من «أخطية»، وهو «سيف من السماء مسلول»، ويقع في صفحات سبع، صورة عن الطريقة التي يكتب بها إميل. يبدأ الفصل الصغير بحكاية تراثية، لايتركها الكاتب دون تعليق، يستعير منها اللغز ويضعه في قلب حادثة يعيشها، لها علاقة بتعطيل السير في شوارع حيفا، الذي امتد وتفرع حتى شمل.. «مشارف عكا شمالاً ومشارف تل أبيب جنوباً». غير أن الكاتب، الذي يمتثل إلى حركة الكلمات لا إلى الحدث الذي تصوغه، يعرّج سريعاً، على أحاديث جانبية عن نيوتن وعن قس بن ساعدة الأيادي، ليصل إلى حكاية مستقلة عن الحكاية التي بدأ بها، مستدفئاً بسطور الرحالة المسعودي، التي تمدّه بكلمة مضيئة تعيده إلى «أرض إسرائيل». وبعد أن يعود، قليلاً إلى الشارع الذي اختنق بسياراته، يصل إلى حكاية إمرأة من طبريا، تتيح له أن يذكر اسم المؤرخ الطبري وأن يروي حكايات طبراوية، وصولاً إلى المتنبي وقصيدته الشهيرة عن «الورد» الذي بلغ زئيره الفرات والنيل، دون أن يمنعه هذا كله، عن العودة إلى «القاموس المحيط» ليبحث عن أصول بعض الكلمات العامية وغير العامية.

يذيب إميل وقائع العالم المعيش في إناء ثقافي تراثي، إلى درجة تهمّش الوقائع وتنصّب الإناء الثقافي مركزاً لما عداه. كأن المعيش مناسبة تستدعي الموروث، وموضوعاً لايصاغ ولا يكتسب ملامحه إلا بمواد ثقافية تعود إلى زمن آخر، مخبراً، بوعي أو من دونه، عن هشاشة ورخاوة الزمن الحاضر الذي لايتماسك، إن تماسك، إلا بأدوات تنتمي إلى زمن رحل. ولعل خضوع الحاضر إلى الماضي، في تصور إميل حبيبي، ينصب الذاكرة مبتدأ وخبراً، تستوي في ذلك ذاكرة الرجل المتداعي في أزمنته المتداعية، وذاكرته الثقافية الرحبة، التي يلوذ بها لأكثر من سبب. ولذلك فإن فصله الصغير طافح بالأسماء التراثية: الأمير الفاضل، قس بن ساعدة الأيادي، المسعودي، أو أبو الحسن علي بن الحسن بن علي المسعودي، محمد بن جرير الطبري، وطبريته هي طبرستان لا طبريا فلسطين، أبو الطيب المتنبي، صلاح الدين الأيوبي، موسى بن ميمون..

كتب إميل حكاية لامركز لها، حكاية ـ ذريعة، ظاهرها فلسطين وجوهرها زمن ثقافي، كلما تمسكت به فلسطين ابتعد. حكاية متناثرة، تنسى ذاتها قبل أن تلتحق بحكاية لاحقة، تنتشر في لحظة البدء، وتتناثر أكثر في لحظة النهاية. ولن تكون الحكايات المتناثرة إلا مقالة أدبية رائعة الأسلوب، يحايثها تقرير صحفي نموذجي، يقترح العناوين الفرعية ويهتدي إلى الحكايات الجزئية. ولايلتقي بشخصية واضحة المعالم، أو ينسج شخصيات محددة، وعد بها «الدفتر الأول» في صفحته الأولى. وبهذا المعنى، فإن «أخطية» كما «سرايا بنت الغول» التي أعقبتها، مرآة لنص أدبي جديد، يرتفع فيه التقرير الصحفي إلى مقام المقالة الأدبية الرهيفة، أو تأخذ فيه المقالة الأدبية الراقية شكل تقرير صحفي غير مسبوق. فالفصل الأول والفصول التي تتلوه، كما الدفتر الأول والدفاتر التي تلحق به، تصف أحوال الفلسطيني المصادر وأحوال من يصادره، من غير أن يتاح لها أن توحّد بين الوصف والسرد، محوّلة المصائر الإنسانية إلى حكايات شاردة، أو مطلقة الحكايات لتطارد بشراً لاتلتقي بهم.

فعلى الرغم من مرونة الجنس الروائي، الذي يفتح له نقده الذاتي، آفاقاً متجددة، تمنع عنه الثبات والمعايير الجاهزة، فإن نصوص حبيبي، التي أعقبت «المتشائل»، لاتحيل على الكتابة الروائية، بقدر ما تحيل على محدودية التراث الأدبي، الذي لايتحول إلى رواية إلا في وعي غير تراثي، يدرك الفرق بين الأجناس الأدبية وبين الأزمنة التاريخية التي تحتفي بجنس أدبي وتهمش جنساً غيره. يبني إميل نصه الأدبي بشذرات أدبية متراصفة، تحتضن الحكاية والخاطرة والتعليق السريع والهوامش اللغوية والإضاءات التاريخية. وفي هذا كله، يوازي الراوي الثابت واقعاً ثابتاً إذ الواقع يفرز حكاياته، وإذا الراوي يعارض حكايات الواقع بحكايات أخرى، كما لو كانت الحكايات لا الوقائع المعيشة، هي التي تصل بين واقع مستقيم وراوٍ لايغير مكانه. فلا موقع لبشر يصدمهم الواقع ويعيد صياغتهم، ولا مكان لشخصيات متحاورة في مصائرها، واللغة واحدة ومستقيمة بعد أن اكتفى الراوي بذاته والتاريخ يجري هيّناً فوق سطح الحكايات ولايعثر على ما يتجسّد فيه. لايعثر القارئ في هذا كله، على قول روائي ولا على انزياح محتمل بين قول الحكاية الأولى والحكاية الأخيرة، فالقول كله حاضر على لسان الحكّاء، الذي يحلم بمحاكاة المسعودي، وهو يظن أنه يشتق «شفيك» من أرض جديدة.

حاول إميل في أعماله كلها وفي «سرايا بنت الغول» خاصة، كتابة سيرة ذاتية خاصة، تجمع بين المصير الذاتي ومصير وطن مفتوح على التلاشي. وليس في السيرة الذاتية، مقنّعة كانت أم بلا قناع، ما يمنع عنها صفة الرواية. غير أن حبيبي، وهو يكتب السيرة المزدوجة، يبدأ من الحكاية لا من السيرة الذاتية التي تستدعي الحكاية وتروّضها. وقد يقال، إن إميل لايعطي سيرته إلا من وراء قناع، وقناعه هو الحكاية، ناسياً أن الحكاية، في منطقها البسيط، لاقناع لها، لأنها موزّعة أبداً، على وعد بالنعيم أو على وعيد لايعد بالمسرة. بمعنى آخر: لايتمتع موضوع السيرة الذاتية، الذي يكتبه حبيبي، باستقلال ذاتي كافٍ وبكثافة روائية موائمة، يسمحان بإدراج السيرة المقصودة في الحقل الروائي، ذلك أن الذات التي يكتب عنها تتشظى في المتواليات الحكائية، وهذا ما يجعل ملامحها الخارجية ناقصة وعالمها الداخلي أكثر نقصاً، فلا حوار إلا بين الراوي وحكاياته ولا مونولوج إلا ما سمحت به فسحة الحكايات. وإذا كانت السيرة الذاتية تتنامى أدبياً، من خلال حوار الراوي مع شخصيات تواجهه، أو تجاوره، فإن تمركز راوي إميل حبيبي حول ذاته لايدعه يفارق الموقع الذي اختاره. ويدفعه هذا التمركز إلى اختيار شخصيات مزدوجة يرى نفسه فيها، كما لو كان الراوي لايقبل بـ «الشخصيات الأخرى» إلا إذا كانت امتداداً له، يرى فيها وجهه تارة، ويجرّب موهبته اللغوية تارة أخرى.

ينهي حبيبي «الدفتر الأول» من روايته «إخطية» بفصل من ثلاث صفحات إلا قليلاً، عنوانه: «عطية». والفصل الصغير عامر بالشجن إلى حدود اللوعة، يستعيد زمناً جميلاً تولّى، ويستعيد منه ذكرى لبناني جميل، تعلم القراءة في فلسطين ثم شتته الأزمنة، ومع أن لـ«عطية» ملامح شخصية روائية لانقص فيها، فإن حبيبي الذي لايرى ذاته إلا في الحكايات، ترك الشخصية لقلمه لحظات قليلة، مؤثراً الذهاب إلى شخصية أخرى، يختزلها في حكاية جديدة، قبل أن يصل إلى شخصية ـ حكاية في مرة لاحقة.

كتب إميل حبيبي «المتشائل» وهو يحاكي نصاً روائياً، يبدأ بالإنسان وينتهي به، ووصل إلى نص هجين، حين اعتقد أن الرواية تحتاج المتواليات الحكائية، أكثر مما تحتاج إلى البشر الواقعيين، الذين يخلقون الحكايات والذين يذرونها في الهواء أيضاً.

الكتابة والهوية الوطنية:

لم يسع إميل حبيبي إلى كتابة رواية، أو إلى ما هو قريب منها، بل إلى نص أدبي يؤكد انتماءه إلى وطن يتباعد وإلى ثقافة عربية محاصرة. كان الراحل، الذي تقوّضت ذاكرته قبل أن يتقوض، مأخوذاً بالهوية الوطنية الثقافية، على مبعدة عن الأجناس الأدبية وتصنيفاتها. وكان في فعله، يعيد فعل الكاتب المضطهد، المتهم في وجوده والمغبون في حقوقه والمتمرد على ظلمه، سواء كان التمرد في صرخة حبيسة تقذف إلى الحلق قبل أن تصل الأسنان. أو في جملة نضرة تحاور، في زمن مقلوب، سطور الجاحظ واختناقات ابن عربي. وبهذا المعنى، كان حبيبي يكتب نصاً قلقاً ومختلطاً، وكان أولاً، يطرح إشكالية الإنسان المقموع في حقل الكتابة.

اتكاء على وعي بالشرط الذي تدور فيه الكتابة، طرق إميل حبيبي أبواباً متعددة، وهو يصوغ نصاً لاينقصه التعلثم. وأول هذه الأبواب باب الاسم، الذي يعزف الإنسان ويعزّف الإنسان به. ففي شرط صهيوني يعيد خلق المخلوقات عن طريق التسمية العبرية، كان على حبيبي أن يؤكد الأسماء التي لا تُستلب، وأن يذكّر بالسماء التي تم سلبها. ظهرت الأسماء الأولى في عناوين الكتب، التي تحكي عن «سعيد أبي النحس» و«لكع بن لكع» و«سرايا بنت الغول»، مؤكدة أن وجود الاسم الأصلي برهان على وجود الإنسان، ورجعت الأسماء، التي سلبت طافية على سطح الذاكرة، بعد أن جثمت الأسماء العبرية فوقها، أو بعد أن غادرت مواضيعها الوجود إلى غير رجعة. يكتب إميل في «أخطية»: «سموا هذا الشارع باسم «هحالوتس»، ومعناها «الطليعي». فلا يجوز لنا، تاريخياً، ترجعته إلى اللغة العربية كما فعل إخواننا اليهود بالعديد من الأسماء العربية العريقة في هذه المدينة، أو بدلوها تبديلاً، حتى أصبح شارع الناصرة شارع «إسرائيل بار يهودا» وأصبح منبعه – ميدان الملك فيصل – أمام محطة سكة حديد الحجاز – «شارع خطيبات جولاني» وهو خط عربي ركيك يقصدون به الاسم العبري «حتيفات جولاني»، أي فرقة الصاعقة «العبرية...»[20]. ويأتي ذكر أسماء القرى في «المتشائل» مقطعاً بالبكاء: «ثم عادت الأصوات تنتسب في عناد، مع أن قراها، كما فهمت، قد درستها العسكر: نحن من الرويس، نحن من الحدثة، نحن من الدامون، نحن من المزرعة، نحن من شعب، نحن من ميعار، نحن من البرصة، نحن من الزيب، نحن من الكابري...»[21]. تترافد الأسماء عالية معلنة عن وجود مأساوي فقد ضاع الموضوع وبقي اسمه، منتظراً زمناً لاحقاً يعطف الاسم على موضوعه الغائب، إلا إن أسعفته، ونادراً ما تفعل، ذاكرة لايغرقها النسيان.

ولعل وجود الاسم، الذي تحته الرياح بعد أن أعدم العسكر موضوعه، وهو ما يعطي الذاكرة، اسماً وموضوعاً، مكاناً رحباً في نص إميل حبيبي. نقرأ في صفحات قليلة من «أخطية» الجمل التالية: «وجاءنا، فيما بعد وهو مذهول بخبر أذهلني وأقعدني في مأتم الذاكرة، تعودنا الذكريات مثلما كانت الحمّى تعود أبا الطيب، فأخذت تلحو عن شجرة ذاكرتي اللحاء، قشرة قشرة، فتنجلي الأسماء، وكانت مكتظة بالمقاعد ذات الطراز العتيق وقد علتها مسحة من غبار لو كان النسيان غباراً لكانه. أحطنا الذاكرة بأكياس ملأناها بالنسيان استحكمنا وراءها نصد غارات اليأس حتى لم يبق في الذاكرة سوى هذا السياج، فيعتب عليك النسيان، وكانت الأشباح تظهر فجاة ثم تختفي، كما الأشباح، فجاة..»[22]. تحيل الذاكرة على النسيان الذي يحيل عليها، في علاقة مؤسية، مفرداتها اليأس والغبار والأشباح، وبواباتها روح مؤرقة لاتصحو على ما رأته في الأمس وتتداعى دون وداع. بهذا المعنى، فإن حبيبي لايكتب رواية موضوعها ذات روائية لها اتساع وكثافة، إنما يكتب جدل الذاكرة والنسيان في نص أدبي خاص، قوامه زمن جماعي يتلاشى وذاكرة يعصف في أرجائها التداعي. وربما يكون جدل الذاكرة والنسيان، في شرط مضطرب ومتعدد العناصر، هو الذي قرّب حبيبي من السيرة الذاتية وأبعدها عنها في آن. يتقرب من السيرة الذاتية، وهو يحكي حكاياته المتناثرة، ويبتعد عنها، وهو يتأمل أحوال الوطن في حكايات لاتقرأ تناثراً. يقول إميل في النصف من رواية «سرايا بنت الغول»: «قال: كان يغيب دهراً ثم يظهر في بيتنا عصراً. فهل سيعود بعد هذه الغيبة؟ ها أنا أمعن النبش في أغوار الذاكرة بحثاً عن غيبته الأخيرة فلا أهتدي إلى بداية لها فكيف أهتدي إلى بداية لها فكيف أهتدي إلى نهايتها»[23]. يشير إميل إلى البداية والنهاية وما بينهما، أي إلى سؤال اخترق الرواية الفلسطينية كلها، تقريباً، هو: كيف يمكن وضع الوطن كله في رواية؟ والإجابة غائبة، حتى حين يبحث عنها فكر لامع كفكر غسان كنفاني، ذلك أن الرواية تتعامل مع البشر والشخص، لا مع المجرد، سواء كان فلسطينياً عادلاً يتنكب بندقية أكثر عدلاً، أو «وطناً» مقدساً «أورق في أرضه الحجر».

تتكوّن سيرة الإنسان المقهور في حوار ناقص بين ماض تولى ومستقبل مرغوب. ويعمل الحوار على تجميل الماضي المرئي وتعظيم أبعاده. وإذا كان الرثاء احتجاجاً على حاضر بائس، فإن في تجميل الماضي ثقة بعودته الوشيكة. وقد أخذ اسم المستقبل، وليس هذا بعيداً عما قصده إدوارد سعيد وهو يتحدث عن «التاريخ المقموع» و«التاريخ المقاوم»، حيث ينتج الأدب سياسته الخاصة به، كي تصبح «السياسة الأدبية» عنصراً فاعلاً في مشروع تحرري عام[24].

حاول إميل، معتمداً على سياسة أدبية معنية، أن يكتب سيرة ذاتية مزدوجة: سيرة أولى يعلن فيها عن وجوده في مواجهة جلاد ينكر وجوده، وسيرة ثانية تخبر أنه قائم في ثقافته الموروثة. كان نص حبيبي حامل لانعكاس مزدوج: يعكس صراع الضحية والجلاد في الحاضر، ويعكس استمرار ثقافة الضحية رغم عسف الجلاد وسياسته الثقافية المغايرة. وقد يبدو ظاهرياً، أن انبهار إميل باللغة الفاتنة مرتبط بافتتانه بصنعة الأدب، والأمر، رغم صحته، يحمل بعداً آخر، يقول: فكّر إميل بالثقافة العربية وهو يكتب بلغتها، بقدر ما فكّر باللغة العربية وهو يكتب ثقافتها، أي أنه وحّد، بلا انزياح، بين الفكر واللغة، مبرهناً أن الهوية الوطنية تقوم في ممارسة الكتابة لا في خارجها.

اتكاء على إشكالية أدب الإنسان المقهور، وعلى الفرق بين منظور التاريخ القامع والتاريخ المقاوم، تعامل إميل مع إنسان بسيط يحتفي بالضحك ولا يأتلف مع «الرجال العظام» إنسان مخذول، أقرب إلى الإستسلام، يفتش عن شيء أضاعه وينتظر مجهولاً لا يعرف عنه الكثير. وهذا الإنسان، الذي أتقن الانتظار والتمني المستمر، نقيض لـ «بطل» الأيديولوجيا الصهيونية، المجبول بالدموع والرماد والعناية الإلهية والهالة الممتدة من الأرض إلى السماء. وربما كان التمسك بضحية ترد بالضحك على عسف زمنها، هو ما أقام بين حبيبي، وهو الشيوعي الأرثوذكسي فترة طويلة، وأدب الواقعية الإشتراكية التقليدي جفوة كاملة فلا مكان لـ «البطل الإيجابي» و«النهاية المتفائلة» و«الفجر الفصيح الذي لايخذل أحداً»، لأن المكان كله لذاك الإنسان المغترب الذي يشد أزره بضحكة ويعبث بعدو جاثم عليه بضحك آخر. يقول باختين – هو يتحدث عن الضحك في العصور الوسطى –: «لقد تمت تنحية الضحك عن العبادات الدينية وعن الطقوس الإقطاعية والسلطوية، والعرف الإجتماعي، وعن كل أنواع الأيديولوجيا المتهذبة»[25]. عثر إميل، الذي كان يضحك من ضحكه، على ضالته في إنسان بسيط، يرى في الضحك سلاحاً، وفي الحكاية الضاحكة جسراً إلى عالم جميل لا يُرى.

وأخيراً، فإن منهج إميل حبيبي الأدبي أكثر أهمية من الأعمال الأدبية التي أفضى إليها. فقد رأى في ثقافة الذات، المحاصرة بقوة خارجية، مرجعاً للاسئلة والأجوبة، بعد أن قرأ ثقافة الغازي الخارجي وأدرك مقاصده، وكان في قراءته الصائبة، يتأمل الفرق بين زمنه التاريخي وزمن «الآخر» المغتصب، ويبحث في هويته الثقافية المهددة عن متكأ يعصم زمنه الذاتي عن الإنهيار. وإذا كانت بعض العقول تصلب أسئلتها على بوابات «الفرق»، دون أن تسأل عن أسبابه وعن وسائل تغييره، فإن حبيبي وفي نصه الأدبي، مزج التأمل بالمقاومة والأسى الشديدة بالمعرفة المجتهدة. ومثلما أن إميل قد حلم بكتابة قصة الوطن، دون أن تتعرّى تفاصيله، فإنه قد حلم، ربما بكتابة نص أدبي، دون أن يسائل كثيراً الأجناس الأدبية وأزمنتها التاريخية المختلفة. وفي هذا المنظور، الذي يربط عمومية بأخرى، كان يكشف عن وعي لامتكافئ العناصر، يعرف عن زمن الضحية وعن زمن الجلاد أشياء كثيرة، ويعرف عن زمن النص الروائي أشياء أقل.

إتكاء على الحكاية والسيرة الذاتية والهوية القومية الصادرة عن تمازجهما وحوارهما، قدم إميل اقتراحاً عربيـاً روائياً، ناقص الأسئلة ولا متكافئ الإجـابات ■■

---

١٣. Plo Gaillard: Candid voltaire. Hatier 1989. P. 74-75.

١٤. كنديد، ص: ٢٠.

١٥. ياروسلاف هاشيك، الجندي الطيب شفيك، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٨٦، ص٦٨٥. (في جزأين).

١٦. المرجع السابق، ص: ١١.

١٧. Ibid. P. 76.

١٨. هاشيك، ص:١٣.

١٩. أخطية، التقديم..

٢٠. أخطية: ص: ٢٣.

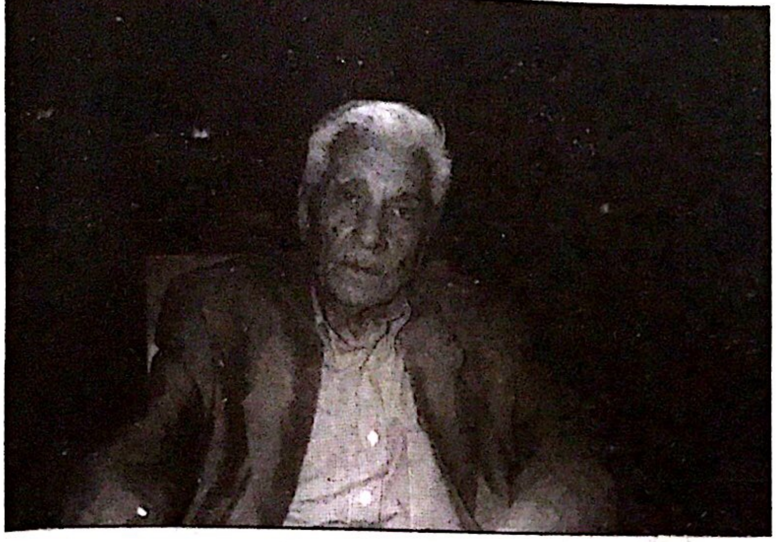
٢١. المتشائل ص: ٩٦.

٢٢. الكرمل العدد: ٥٢، صيف ١٩٩٧، ص: ١٩٣.

٢٣. سرايا بنت الغول: دار الريس، لندن، ١٩٩٢، ص:١١.

٢٤. E. Said: Orientalism reconsidered culture critique,1985,1,p:94.

٢٥. M. Bakhatine: l'oeuvre de francois rabelais, gallimard, Paris 1970. P: 82.



رحيل بطل من أبطال الحداثة الشعرية

"جدلية الليل والنهار"

عند البياتي

عبد الكريم درويش

يقول البياتي في ديوانه «الكتابة على الطين»:

سكبوا فوق ثيابي الخمر، عربدتُ من الحب، وراقصتُ
الفراشاتِ وعانقتُ الزهور
منحوني عندليباً وقمر
ومرايا وتعاويذ وقطرات مطر
وأنا لم أتعدَّ العاشرة
فلماذا عندليب الحبّ طار
والمرايا صدئت فوق الجدار؟
ولماذا استرجعوا مني القمر
والتعاويذ وقطرات المطر
عندما قلبي على أرصفة الليل انكسر؟
«المجوسي» (ص٢١٥)

لكي نستعيد الرؤية، لابد أن نحاول الحصول على مرأى، فنميز من جديد المسافة والهوة بين اللامرئي والمرئي، بين الحلم والواقع ونعيد أعيننا إلى واقعها، إلى وعيها للعالم ولنفسها. وهذا يعني أننا نعطي لهذه المرايا التي كان يعبرها نظرنا الحالم الطفولي بأكثر مما يجب، حالتها المباشرة. فالصدأ ضد القصدير ويعني ستارة من السلبية أو قاعدة لليل: فالعندليب يطير، والقمر يُسترجع، والقلب الجذل من مراقصة الفراشات ومعانقة الزهور، يتحطّم.

فالسواد هو الذي يوقف الضياء، وبالتالي هو الذي ينحته، إنه يثبته في الأشكال ويربطه بجوهر الأشياء ويسمح له بأن يشكل في المشهد هذا الانعطاف أو ذاك وأن يكون الضياء هذا الشيء أو ذاك:

عديدة أسلاب هذا الليل في المغارة
جماجم الموتى، كتاب أصفر، قيثارة
نقش على الحائط، طير ميّت، عبارة
مكتوبة بالدم فوق هذه الحجارة
عديدة أفراخ هذا العالم الكبير
عري السماء الأبدي الأزرق المثير
عذوبة الخريف
السمك الفضي في البحار
الفجر والنساء والأفكار «الليل في كل مكان» (ص٨٧)

هكذا يعود النهار المحمل بالسواد إلى السريان بين قطبي الرؤيا الشخصيين. وذلك دون أن نغفل أن هذين القطبين يجب أن يرسلا الآن النور والظلمة على حدٍ سواء:

مَن يبكي على أسوار هذي المدن. الملاجئ. القبور؟
من يبكي على شطآن بحر الروم في منتصف الليل
أراهُ قادماً من آخر الدنيا
على شفاهه تُزهرُ بعضُ الكلماتِ
ينتهي عذابهُ
ليبدأ الرحلة من جديد «المخاض» (ص٣٣٦)

إن صورة محجر العين، أو صورة الجفن المغمض هي من صور الخصوبة، وهي بالتالي تفرض التكامل الضروري بين الليل والنهار. فإذا كنا نود أن نرى العالم بتنوعه وتضاريسه، نعنى بإنسانيته، وإذا كنا نود أن نفهم العالم بتطريزه للمعنى واللامعنى وبإمكانية المقابلة التي يجب أن يغذيها العالم في داخله بلا انقطاع لكي يكون ويجدّد كينونته - هذه المقابلة بين المنفتح (السماء، الأزرق) والمنغلق (المغارة، الكتاب الأصفر)، بين المضيء (السمك الفضي، الأفكار) والمنطفئ (جماجم الموتى، الطير الميّت)، بين الكينونة (الفجر، النساء) واللاكينونة (الحجارة، الحائط) - فإنه يجب على «الأنا» أولاً أن تدخل السلبية في قلب هذا العالم (الملاجئ/ القبور) وذلك عن طريق نفس الحركة التي تضيء بها العالم (تزهر الكلمات يبدأ الرحلة من جديد).

فأن ترى إذاً، ربما يعني ألا ترى. والإضاءة تعني الإظلام.. الاخفاء، التقلص، كما أن النظر **يعني إغماض العينين:**

رأيته يمتد من جيلٍ إلى جيلٍ كخيط النور
وفي عالم الفوضى وفي تزاحم الأضداد والعصور
الدم في كل مكان ساخناً يسيل
يلعق في لسانه المحارة
يفتضها، يغتصب العبارة
يعبدها حبيبةً ناضرة البكارة
رأيته يُولد في مدريد
في ساحة الإعدام أو في صيحة الوليد
متوّجاً بالغار
تحوم حول رأسه فراشةٌ من نار «خيط النور» (ص٩٢)

على أنه توجد في أنحاء العالم أشكال للظلمة التي لانستطيع أن نتقي انفجارها أو حتى نضبطها. فهي أقدارٌ كبرى يبدو إنها تنبثق فجأةً من خارج الحدود، ويحطم هجومها التوازن الخصب للحلولية.

وهذه الانقطاعات أخطر بكثير. فالأمر لايتعلق هنا بخللٍ داخلي يؤثر في وظيفة هذه المحطة الخاصة أو تلك من محطات الدارة الشعرية، وإنّما بصدمةٍ شاملة تشلّ البنية أو تهزها من الأعماق. والبياتي - كشاعر متفائل أحياناً - يجد نفسه من وقت إلى آخر غارقاً في نوبات خطيرة من اليأس. وربما كان ذلك لأن تفاؤله وحدسه ببعض السهولة الوجودية يجعلانه لايدخل في لعبتهما وفي حساباتهما - بشكل كافٍ - الفعالية المحتملة لهذه القوى الكبرى المحطمة.

وهكذا حين تظهر هذه القوى، يؤخذ البياتي على حين غرة، ويتوجب عليه أن يُصارع

اللامنتظر بيدين عاريتين، ولكنه لا أجدى ولا أجمل من أن نراه يُقاوم ويحاول أن يحافظ على حياته ضد الهجمات اللامتوقعة لما يأخذ بالنسبة إليه وجه الشر. والهجوم المألوف بالنسبة إليه، والأسهل رداً، هو ذلك الهجوم الذي يتعرض له البياتي كل مساء في الساعة التي تغيب فيها الشمس فالليل يُرعبه لأنه - في جوهره - انطفاءٌ واختفاءٌ وجمود: موتٌ مغيِّرٌ للألوان، صمتٌ لاينضب هذا الذي يهزُّ الطبيعة بعدم تسميته لها، ويحطم التبادل الإنساني والشفافية ومرايا الشفاه. إنَّ الليل في الحقيقة يُلغي الضياء والضحك والكلام والتحليق، ويلغي معها كل إمكانيات الكينونة التي كانت بحوزتها «ما أوحش الليل إذا ما انطفئ المصباح»/ ص١١، «كان علينا أن نضيء النور في ليل نيسابور»/ ص٦٦، «والعصافير على أرصفة الليل تموت»، «لوركا ونور العالم الأبيض في الأكفان» ص٢٨.

وجمود الليل يستدعي الوحدة، ولكنها وحدة مفروضة يعيشها البياتي وكأنها تخلٍ إلهي عنه. فما الذي يستطيع البياتي أن يفعله أمام جمود الليل؟ ينام أم لاينام؟ فمن الجانبين ينتظره ألم على حد سواء، فإمّا السهر الحزين حيال ضياءٍ كاذبٍ والانتظار في مأوىً بلا ألوان «كما في قصيدته حب إلى عشتار». وإما أن يكون هناك الغوص الذي لاخلاص منه في الرعب الأسود «كما في قصيده هبوط أورفيوس إلى العالم السفلي».

فالنوم - بالنسبة للبياتي - محل شؤم مزدوج: إنّه مشؤوم لأنه محل احتجاز، فهو مضغوط في الليل من كل الجهات بأسوار ضخمة من العدم. وهو مشؤوم لأنه محل سقوط، ففي نومه يسقط في قعر المكان والزّمان، ويتعرض إلى نوع من الارتكاس المريع للحيوية.

وبدلاً من أن يتلقى المدى خفةً وانطلاقاً، بدلاً من أن يحيا الزمن انبثاقاً عن عمق النسيان لحاضر متتجددٍ فرحٍ عارٍ، يعيشهما معكوسين كعودة نحو الماضي، نحو الأسفل، وكدوار يثيره القاع، ولكنه قاع قاحل وجاف كما في ديوانه «الموت في الحياة».

ولكن البياتي يفلح أحياناً في البرء من هذا الجرح ومن هذا الرعب الليلي، ولهذه الغاية يستخدم طرقاً متنوعة وإن كانت متفاوتة النجاح. فهو يلجأ - على سبيل المثال - إلى الرقي ضد الظلام «أيتها الذبابة العمياء لاتحجبي الضياء» ص٧٣. ويتم ذلك إما بتطويل علامات الضياء المتلاشية حتى آخر حدودها المنظورة، وإما بالحلم - ومن موقع الترقب أو الانتظار في عودة الضياء:

الليل طال، طالت الحياة
فأين يا ربّاه!
شمسك! تُحيي الحجر الرميم
وتشعل الهشيم (الحجر) ص٨٢.

إنه يرقب آخر طيور السنونو وهي تضفر سلة لتحتجز فيها النور، وهو يتملى بإعجاب كيف يتكوّر كل شيء في النار التي تنطفيء، أو يترصد في الظل الانطلاقة السجينة للنهار، ومن الأصيل إلى الفجر يتابع المجال الليلي وجوده دون أن تعيق كثافته البليدة ذكرى نور أو انتظار للنور. فإذا أردنا أن نحيا في الليل توجّب علينا أن نحمل نارنا بأنفسنا، ويكون ذلك بفعل الخلق الصّافي، كهذا الذي يقوم به البياتي في قصيدته التي بعنوان «شيء من ألف ليلة».

وإما باللجوء - وحتى داخل الكمود الليلي - إلى التبادلية العاطفية بما تحمله من قدرة على الإضاءة. والبياتي يتضرع إلى الحبيبة كي تنصب جسراً من نظراتها على «لياليه العكرة» حتى تمكنه من اجتياز سلبية هذه الليالي، أو هو يتضرع إليها من أجل أن تمنحه الجوار الجسدي، الملتهب المضيء. وهذا أنجع من سابقه.

وسوف تطالعنا في مجموعته التي بعنوان «قمر شيراز» قصيدة «الموت والقنديل». تثير الإعجاب، وتصف هذه القصيدة - ضمن سجل ابتهالات الحب - كيف يتحول في بُطءٍ وعن طريق الحلم عالم الظلمات إلى عالم النهار. فـ «أحلى الحبيبات» تبدو قد وهبت يديها المدودتين اللتين جاءتا بها من بعيد، من آخر عالم أحلامها. وأول ما يبدو أن هذا العالم مرعبٌ. ولكن الحبيبة تجتازه بنوع من التزحلق الاستيهامي عبر سلّم الارتعاشات ووثب القمر، إنها تأتي عبر اختناقات الغابة، والعواصف المقيدة، والحدود السّامة، والليالي المرّة، والمياه الصفراء القاحلة.. وعبر صداً معنوي وأسوار من الأرق.

ولكن صعود الحلم في جسدنا يقتلعنا شيئاً فشيئاً من الكابوس، ونقترب من النجاة حين نتصوّر رأس الحبيبة المرتعدة، الحبيبة التي يدل إليها صدغاها حيث الأصابع والقبلات تتكئ على القلب العلوي، وعلى هذين الصدغين فإن أحلك لحظات حياتنا تنقلب إلى أمل، فالليل يتحول إلى صفاء ولمسات وانفتاح ومستقبل. وتبقى ولادة هذا المستقبل رغم كل شيء مرتبطة بلغز يتمثّل في العبور والتحليق الخفيف الصباحي.

ولكن ما العمل حين تكون هذه الطرق المتنوعة غير فعالة؟ وفي بعض المناطق؟ وكلها مناطق يرتبط بها وجود الشاعر بشكل لاانفصام له؟ فالفاشية.. الحرب.. الاحتلال.. الغربة عن الوطن.. موت الحبيبة، كل ذلك يُغرق البياتي في سلبياتٍ مطلقةٍ متتاليةٍ، لايمكنه إزاءها - هذه المرة - أن يجد أي ملاذ، وكل ما يستطيع أن يفعله الشعر حينذاك - كما يتضح في قصيدته «نقد الشعر» - هو أن يلحظ عدم صلاحية البنى التي قام عليها نشاطه، واقتراب سقوط هذه البنى:

لو أني كتبت فوق الماء
والريح، وشعوذت ألفاظاً تنهدت على بحيرة السماء
لو أني علقت قيثارتي على مخادع النساء
لو أني جعلت من شعري مخدات عبير، لكِ
يا آلهة القصيدة الجوفاء
...
لكنني المغلوب
نوق صليب كلماتي، أبداً مصلوب. «نقد الشعر» (ص١٢٣)

إن كل ما يستطيع الشعر أن يفعله هو أن يصف كيف تنقلب المفاهيم وتنعكس ميكانيكية الأشياء، ويبدو كل فرحٍ أرضيٍ ضائعاً منحرفاً بشكلٍ مأساوي.

هكذا تحس الكينونة من الآن أنها أسيرة. وغالباً ما تتعاظم فاجعة الشلل هذه بإحساس مزدوج بالإنغلاق والثقل والرصاص والشحم والماضي والزيت الكسول.

وبدلاً من أن تنفتح حواجز الأشياء نراها تزداد سماكة، ونرى الأشياء التي كانت وضّاءة حتى أعماقها كيف أصبحت عاتمة مغلّفة بالضباب. فكل بؤر الكينونة - نيراناً كانت أم دماء - تنطفئ شيئاً فشيئاً تحت الهجوم الرتيب لماء المطر السماوي المغبر.

وفي موازاة كابوس المطر الطيني، فإن القرف من الدخان والضباب، وإن الغثيان الناجم عن الرمال الطاغية.. كل ذلك ينذر بانغلاق الأمداء الطليقة الحيّة، والتي كانت تسمح - في داخل التضاريس والشفافيات والتخريمات - بأن تضع العالم موضع العلاقة بعضه مع بعض وموضع التنفس الداخلي. فالفضاء ينغلق، والهالة تخبو، ويصبح الصفاء وحلاً نغرق فيه.. وعلى وجه الخصوص فإن العالم يخسر بنيته، شكله الحيوي ولايعود في مقدوره أن يحمي حتى خطوطه الحساسة. فالأشياء.. الممالك.. العصور.. كل شيء فيها ينحل في كل شيء، ويتآمر على كل شيء، وبدلاً من أن تندفع الأشياء بعضها من أجل أن تكون، فإنّ العصافير والأسماك تختلط مع بعضها في الوحل. ولاتعود الدموع بحـ اتها أكثر من مرايا موحلة. ويضـ المعنى في صمتٍ أسود يتناقض فيه كل شيء مع كل شيء. إنه عالم الرمال الرخوة، عالم الرتابة المتصاعدة وهو السجن الكبير الثابت الذي يحتوي على كل ما هبّ ودبّ.

فهل من علاج لهذا الشقاء؟

من أجل أن يسري المعنى من جديد في هياكل هذا الجسد الضخم المحطم المنحل الجامد، عالمنا، فإنه يجب أن ندخل بعداً زمنياً آخر يأتي بشكل ما من الخارج. من المستقبل، من أعلى التسامي الخير. إنه المعنى الذي ينبثق على الدوام منا نحن، فنحن الذين نبدعه بتدشين اندفاعاته من جديد. فعملية نقل الزمن - بالمعنى الذي تؤديه عملية نقل الدم - تعني الأمل. وستكون النتيجة صاعقة إلى الحد الذي لايكتفي معه المستقبل بإحياء الحاضر، ولكنه يجذبه بحيوية إليه فيمتزج به ويصبح بحد ذاته حاضراً.

إنها مفارقة «الغد» الذي أردناه فكان وعدُنا الحاضرُ به تحريضاً على حدوث حاضر للآن.

وفي مجمل القول، فإنه يكفي أن نعد أنفسنا بالمستقبل كي يصبح هذا المستقبل - في اللحظة نفسها - حاضراً. يقول البياتي:

إني لأومن في غد الإنسان، في نهر الحياة
فلسوف يكتسح التفاهات الصغيرة والسدود
ولسوف ينتصر الغداة
إنسان عالمنا الجديد
على المذابح والخرائب والوباء
إني لأومن.. رغم موتي في المساء. «أمل/ ص٢٣٤/ مجلد ١»

فلنحيي إذاً في البياتي شاعر الأمل، ولنقرر في الحال أن الأمل عندما يسبق الشعر ويشترطه حتى على المستوى الشكلي، ولنشهد بوجود هذا الشكل الحقيقي المسبق للتجربة. فمن غير الحدس المبدئي بالأمل يصمت الكون عند البياتي وينطفئ ويتفكك. ولكنه مدعوماً بهذا الأمل يحظى بشموخه وكبريائه■■

المراجع:

ديوان عبد الوهاب البياتي، المجلدين الأول والثاني، دار العودة، بيروت، الطبعة الرابعة ١٩٩٠.

الشاعر عبد الوهاب البياتي:

«شهادات في التجربة والرحيل»

أحمد الحاج طاهر



الزميل أحمد الحاج طاهر مع الشاعر البياتي قبل شهر من رحيله

«إن الموت المادي لايعني النهاية، إنما هو مجرد ممر أو كهف يمر فيه الإنسان لكي يصل إلى الأصقاع الأبعد، وتتلخص رؤيتي للموت بأن حالي يشبه حال أبي تمام الذي صورته أنه كان يسبق موته إلى المدن التي يرحل إليها، ما هو الموت؟ نحن في سباق مع الموت لأننا نموت من الحياة ولانموت من الموت فإذن كيف يمكن للإنسان أن يسبق الموت هذه هي المحاولة الجديدة التي أعيشها».

تلك كانت كلمات الشاعر عبد الوهاب البياتي في لقاء جمعني معه قبل رحيله بشهر واحد، تحدث عن الموت بهذا العمق الفلسفي وهذه الرؤية الثاقبة فتعرى الموت وتتكشف أمام تشوفات البياتي الصوفية القادرة على التغلغل والتسرب في أعماق ودهاليز الأشياء والقضايا، من كان يملك رؤية البياتي في مسألة الموت برأيي لايموت أبداً، لأنه قادر على أن يسبق الموت ويجعله يصل إلى ضفاف المستحيل والإنكسار واللاجدوى لاهثاً متدلي اللسان، وقد هدّه التعب والإعياء في إدراك ما لايدرك، من يقول أن البياتي قد مات فإنه - عُذرا - لايملك نفاذ الرأي ووضوح الرؤية لأن الأشياء تمتلك بدايتها أما الحديث عن النهاية فذلك ضربٌ من المحال فكيف إذا كان الرجل مشروعاً إنسانياً وجودياً حاراً يستمد عناصر بقاءه واستمراريته مع إيقاعات الحياة من تجارب البشر وتحولات جُرم صغير فيه انطوى السر الأكبَر ألا وهو الإنسان على حد تعبير الإمام علي «كرم الله وجهه».

لسنا هنا في مجال الخوض في ماهية تجربة البياتي ولونها وطعمها وروائحها ومفاعيلها على المشهد الثقافي العربي والعالمي فذاك يلزمه دراسة متأنية لايمكن أن تتناسب وعجالة الرحيل والفجيعة ولكن يؤلمنا أن نجد من يتحدث عن تجربة البياتي ورحلته الشعرية التي استمرت لأكثر من نصف قرن كوهج نور مضيءٍ بالصخب والفرادة والإدهاش والمفاجأة وانجلى بحرارة المنفى والغربة ومواجهة العالم وحيداً ومتوحداً مع القصيدة، يتحدث ليستشهد عن عظمة وأهمية هذه التجربة بكلمات تستمد مدادها من دواة أقلام: «أنطونيو جالا، د. بيدرو مارتينث مونتابيث، مالفينا ماريلكوفا، خواكين بينيتو، دورين، كارلوس البارث... الخ».

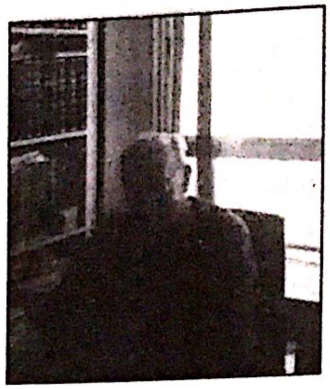
وكأن - مع أهمية هذه الشهادات والآراء - الغرب هو وحده الذي يحدد لنا أهمية مبدعينا ومقاييس الإبداع، ليس المهم أن يعترف الغرب بمبدعينا بقدر ما نعترف نحن بهذا الإبداع وأهميته في صياغة وجداننا وتفاصيل حياتنا ولوحة وجودنا، ومن يتتبع سيرة البياتي منذ صغره يجد أن هذا المبدع مع انشغاله بالثقافة الغربية وقراءته لها قراءة عميقة قد كان منحازاً إلى صف العروبة والشرق انحيازاً يسجل له بامتياز ليس ذلك الإنحياز «الشوفوني» بل انحياز الموضوعية ولم يستفد من الثقافة الغربية والشعر الغربي إلا كما يقول في مجال تقنية القصيدة فصاغ أسطورة من الواقع العربي والإسلامي، وكان يرى أن العرب في واقعهم المهين هذا إنما يمرون بمجرد مرحلة تجمد عابر ثمة حياة حارة مختبئة ستظهر لتذيب ذاك الجليد وتعيد المجد الغابر القادر على الإمتداد في المستقبل، ومن هنا أردت أن أرى كيف يجد المبدعون العرب تجربة البياتي الشعرية ورحيله الذي أدمى القلوب وأدمى جسد القصيدة العربية الحديثة:

ستبدأ فصولٌ أخرى في قراءة التجربة: محمد مظلوم (شاعر عراقي):

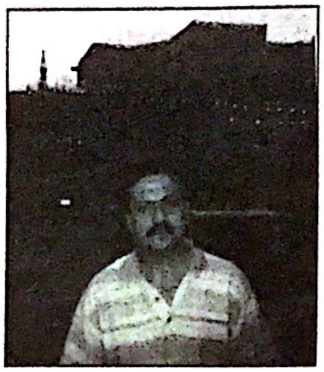
«رحيل الشاعر الكبير عبد الوهاب البياتي يعني أن تجربة مهمة دثرت في الشعر العربي قد اكتملت فصولها وستبدأ فصول



محمد مظلوم



مدحت عكاش



عبدالقادر الحصني



طلعت سقيرق

أخرى في قراءة ما تركه من إبداع حقيقي ينتمي إلى روح هذا العصر، وما اقترفه وارتكبه من تجديد مازالت الأجيال اللاحقة تدين له، إذ أنه فتح آفاقاً أخرى في القصيدة العربية الحديثة، وبرأيي أن البياتي هو أهم شاعر عربي في الشعر الحديث، إن تجربته تشكل عنواناً رئيسياً لهذا العصر، والحديث عن رحيل البياتي بالنسبة لي يأخذ أشكالاً أخرى خاصة وأن علاقة صداقة قوية جمعتنا وكانت مشاريعه الأخيرة تتم بصورة مشتركة إذ أنه في الأيام الأخيرة ضعف بصره إلى درجة أنه لم يعد يستطيع القراءة حتى باستخدام النظارة والعدسة المكبرة في وقت واحد فكنا نقرأ معاً وكنت أحرر له بعض المخطوطات التي كان يستعجل بل يستقتل في إنجازها قبل الموت وهو يحس خطى الموت تتعقبه ومازالت إحدى المخطوطات وهي كتاب بعنوان «مدن ورجال ومتاهات» بين يدي وقرأنا فصولاً منها في آخر ليلة سهرنا معاً، لم أصدق وأنا أودعه مساء تلك بأن هذا الوداع سيكون الوداع الأخير ولكن هكذا اختار البياتي أن يعانق الموت وحيداً مثلما صرخ الصرخة الأولى في الحياة وحيداً...».

مرحلة فنية جديدة اغتيلت: سعدي يوسف (شاعر وكاتب مسرحي عراقي):

«لقد كان عبد الوهاب البياتي صديقاً حميماً لي، فنحن صديقان منذ حوالي نصف قرن، أول لقاء لي معه كان في العام ١٩٥١ وكنت أصدرت أول قصيدة لي مطبوعة في كراس وأهديتها للبياتي واستمرت صداقتنا وتعمقت حتى وصلت إلى هذا التجلي، والآن أشعر بخسارة عميقة ليس لأن عبد الوهاب البياتي الصديق قد رحل بل أيضاً لأن رحيله كان في مرحلة جديدة من مسيرته الشعرية وهي مرحلة صاعدة إذ أن آخر مجموعة له «نصوص شرقية» أعتبرها من أهم ما كتب من شعر وكأنها مدخل لمرحلة متقدمة من فنيته الشعرية ومن هنا يأتي الوجع الشديد لأن حياته الشعرية كانت تمر بمرحلة فنية جديدة اختتمت واغتيلت بهذه السرعة».

أشاع خبر موتي فأبى إلا أن يسبقني: مدحت عكاش (شاعر وأديب سوري):

«تربطني علاقة قديمة وطريفة بالشاعر عبد الوهاب البياتي إذ أنه أشاع خبر موتي في سنوات خَلَتْ في الأوساط الثقافية العراقية فعانيت ما عانيت لنفي الخبر بعد أن وصلت لأولادي وأهلي برقيات التعزية برحيلي، إلا أن البياتي ظلّ في السنوات التي تلت ذلك خجلاً من لقائي مع كل الدعوات التي وجهتها له لزيارة «دار الثقافة» في دمشق، بيد أنه اليوم يسبقني ليفجعني برحيله الذي مازلت أنتظر نفيه متأثراً بالحادثة السابقة، رحم الله البياتي لقد كان مبدعاً منذ نعومة أظفاره والغريب بهذا الرجل أن هناك شعراء قد تنتهي طاقتهم الشعرية والإبداعية عند حد معين في زمن ما من حياتهم، ومنهم من يولد ويعيش ويموت شاعراً، أعتقد أن البياتي كان من الفئة الثانية لم ينقطع عن الإبداع أبداً فبقي مستمراً استمرارية دجلة والفرات في الجريان في أرض العراق الأشم، دواوينه العديدة التي زادت عن ثلاثين ديواناً تجد في كل ديوان شيء جديد وفتح آخر في رحاب الشعر، رحمه الله وتغمده بجوار رحمته».

قنديل من قناديل الشرق الجميلة: عبد القادر الحصني (شاعر سوري):

«إنّ رحيل الشاعر العربي الكبير آخر الرواد الصديق عبد الوهاب البياتي خسارة كبيرة للشعر العربي، لقد فقد الشعر العربي بفقدانه علم بارز من أعلامه نذر حياته من أجل قضايا الإنسان، قضاياه المادية والروحية فكان حليفاً لليسار وللفقراء وللمظلومين وللمضطهدين، وكان حليفاً للروح الإنسانية المتألقة التي تحاور المطلق وتحاور أبعاد الوجود الفلسفية الكبرى، إنه قنديل من قناديل الشرق الجميلة ظل يبث أنواره وسوف يستمر في بث هذه الأنوار عبر نصوصه الجميلة التي تتأرجح كقناديل تحت قباب بغداد وأقواسها، إن عبد الوهاب البياتي شاعر يحمل روح الشرق ويحمل أعماق الشرق المفعمة بالإنسانية وبالروح فقدناه جسداً ولكن أشعاره درس الخلود...».

عاش لحظة الحريَّة طوال حياته: طلعت سقيرق (شاعر وقاص فلسطيني):

«رحل عبد الوهاب البياتي» «تلك كلمة مرة صعبة تغتال جدار الزمن وتعتصر الذاكرة فينزّ الجرح صوراً مازالت في البال.. مرات ومرات التقيت البياتي حتى تشكلت بيننا صداقة وألفة والكثير من الدفء... تسألني عن موقع الراحل في خارطة الشعر العربي أقول: إن عبد الوهاب البياتي شاعر الحداثة والصفاء والصعود بالقصيدة حتى نجوم التجلي، سألته عن علاقته بالشعر الصوفي ذات لقاء فقال: «إن الكلمة عندي قريبة من التوتر الصوفي الجميل...»، ومن يقرأ شعر البياتي ضمن صور متلاحقة، ومن خلال فترات زمنية متتابعة يلاحظ أن البياتي كان دائماً يصعد بالقصيدة ويصعّدها حتى وصلت إلى شيء من الشفافية التي تريك خلفها عوالم وعوالم.. البياتي يا صديقي شاعر حقيقي عاش لحظة الحرية طوال حياته ورفض إلا أن يكون حراً في كل ما يكتب.. كانت الحرية دينه وديدنه، هاجسه وعالمه وأسلوب حياته هذا ما ذكره لي مراراً وهذا ما بدا جلياً في شعره وكتاباته وحياته وكل حواراته.. كان يتنفس الحرية فتشعر أنه لايعرف أن يعيش في غرفة مغلقة مصنّعة، بمعنى آخر كان الشعر عنده حياة تعاش وقصيدة ترتفع نحو الفضاء دون حد.. هذا هو البياتي رحل وترك الكثير من

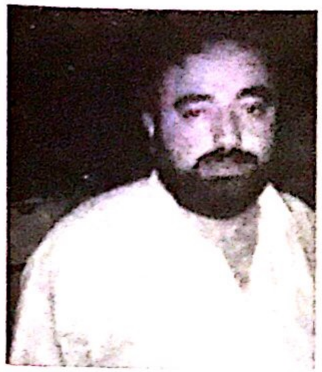
المشاريع الجميلة معلقة في الهواء كان شاعراً بمعنى الكلمة لايمكن أن يتكرر...».

فقدنا ركيزة من ركائز الحداثة: حسين الحموي (شاعر سوري):

«عبد الوهاب البياتي شاعرٌ كبيرٌ من ركائز الحداثة في الوطن العربي، وفقدانه يمثل فقدان ركيزة كبيرة وركن هام في حركة الحداثة العربية والشعر العربي، ففقدان هذا الشاعر هو فقدان لمنافح شرس وقلعة غير قابلة للاختراق من قلاع الحداثة التي لم يُنظر لها فقط بل اقترفها وصنعها، وأنا شخصياً تعرفت إلى البياتي بعد أن جاء إلى دمشق وأدركت تماماً خلال لقاءات عديدة بأنه كان مدافعاً عنيداً عن قضايا الأمة والوطن والإنسان والحداثة، وكان إلى جانب ذلك إنساناً محباً للخير وللفضيلة ووادعاً، أشعر بفقدانه أن قلعة كبيرة قد هوت من قلاع الشعر وراية من رايات الحداثة قد تنكست بعد أن رفرفت معانقة كثافة وألق القمة وسيظل صداها رنيناً متردداً في تجاويف الروح العربية...».

صاحب مذهب تجديدي في الشعر العربي: د. جعفر دك الباب (لغوي وأديب سوري):

«رحيل البياتي صدمة كبيرة لي، أنا أعرفه وجدانياً من خلال تدريسي في الجامعات العربية وبعض طلابي قدموا دراسات ورسائل حول شعره، ولكن أتيحت لي الفرصة أن أهتم به في عام ١٩٩٦ حيث كنت في مؤتمر في عمان وهناك التقيت به وتعرفت إلى أفكاره ورؤاه عن قرب، صعقت بنبأ وفاته فالبياتي واحد من كبار الشعراء العرب يتميز بمذهب خاص به في الشعر ذو اتجاه تجديدي ينطلق من التراث اللغوي العربي ومن تقاليد الشعر العربي قدّم تطويراً لابد من الإستفادة منه لدى الشعراء الآخرين. رحيله خسارة لنا ولمملكة الشعر وطقوسها الجميلة.



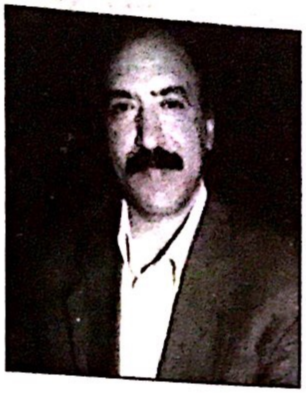
مفيد خنسه

كان موضوعه الدائم الإنسان: مفيد خنسة (شاعر سوري):

«بكل أسف ولوعة وحسرة ودعت جماهير الثقافة والإبداع شاعراً عربياً من أهم رواد الحداثة الشعرية وخاصة في المضمون ودعناه أخاً وصديقاً وكاتباً وشاعراً ومبدعاً، نفتخر بهذه القامة الشعرية الباسقة التي تركت إرثاً إبداعياً لاينضب، البياتي كان رائداً من موقعه كإنسان ومن موقعه كمبدع ومفكر كان موضوعه في مجموع ما كتب دائماً الإنسان، يريد أن يدله على كوة الخلاص من شرور تحيط به كالبؤس والفقر والاستغلال.. كان خلاصه عبر الشعر كان دائماً يقول: إنني أنتظر شيئاً لا أعرف ما هو أنتظر الذي يأتي ولايأتي ولكن عندما أصل إليه سأعرفه حتماً، نأمل أن يكون قد وصل إلى يقين المعرفة في رحيله الذي ترك دوياً صارخاً في سماء الثقافة العربية وتبقى ذكراه في الذاكرة يخضوراً لاتدركه يد الخريف والاصفرار...».

لم يتخندق في إطارٍ معين: فاروق صبري (مسرحي عراقي وصديق مقرب للبياتي):

«لقد كان رحيل البياتي رحيلاً مفاجئاً، ليس بسبب موته المأساوي ولكن بسبب افتقادنا لصديق قادر على أن يندي القلب بقطرات الحميمية والصدق والوفاء، افتقادنا لصوت شعري حداثوي طالما جدد تجربته الشعرية، لم يكن البياتي رغم تجربته الفنية الكبيرة متخندقاً في إطارٍ معين، بل كان يملك هاجسَ التجديد والكشف والبحث ومن هنا الفداحة الأكبر برحيله إلا ان ما يفوق هذه الفداحة، أننا نحن المثقفون العراقيون، نموت كالرطب المتساقط من النخلة نجف ونتيبس بعيداً عن الأهل والأحبة دون أن تجلس أمٌ أو أختٌ فوق رأس الجثة نادبة علينا فقدرنا أن لانأخذ حقنا الطبيعي والمشروع في الندب والعويل والنحيب حين يأذن الرحيل...».



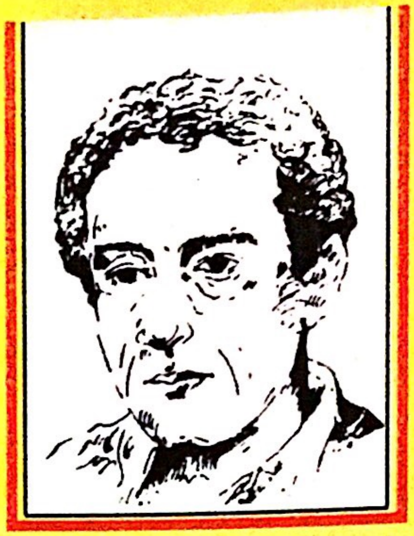
حسان عزت

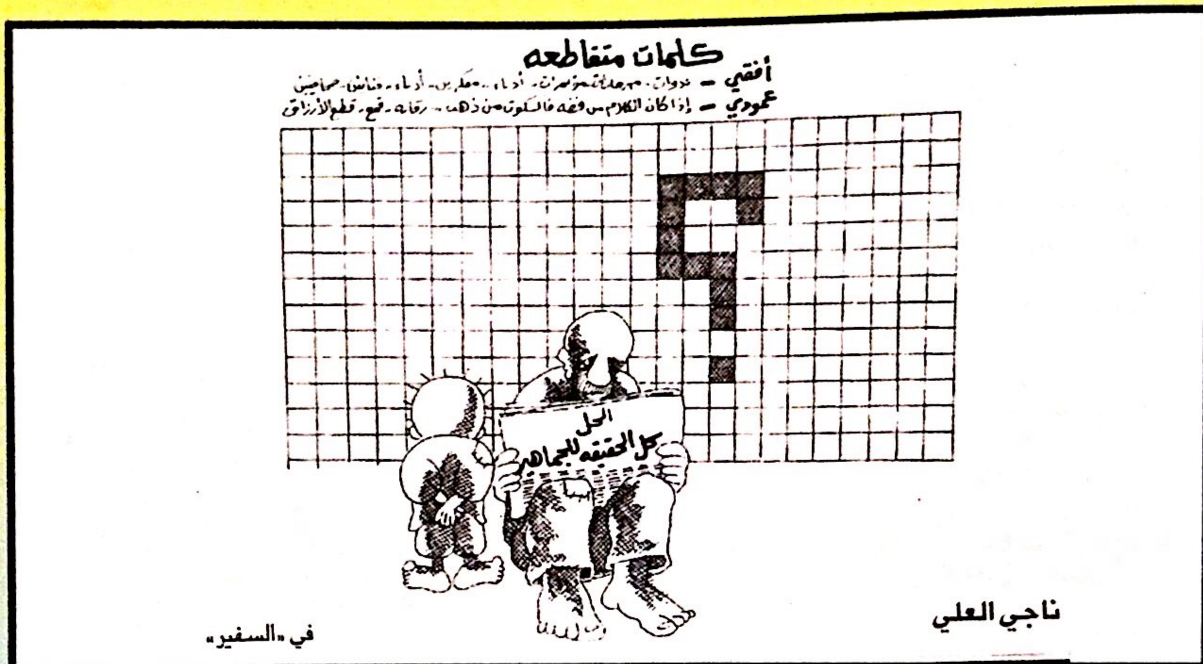
حلم مدينة الموتى: حسان عزت (شاعر سوري):

«بنظرة كونية محضة أرى أن كلمة رحلة أصدق وأكثر تعبيراً من كلمة «موت» وبتقديري لاشيء مهماً وفاعلاً يموت في الحياة قد تموت البلادة، الرخاوة، السكونية، اتجاه الكون، أما الإبداع والفاعلية فإنها تذهب في رحلة وقد تعود سريعاً تاركة شجرة خضراء منذ لحظة رحيلها، إن الإبداع كما يقول الصوفيون: «يعلو على مسألة الخلق» بهذا المعنى يمكن اعتبار رحيل البياتي باتجاهين: اتجاه ابتعاد واتجاه حضور، ومن حسن حظي أنني التقيته في آخر أيامه في الفترة الي عاشها في دمشق، وكنت في لجنة جائزة البياتي للإبداع الشعري، لقد بدأ يحضر بقوة قبل غروبه وخاصة باتجاه الشباب، كان شاعر حداثة مشاغب على العكس من السياب ونازك الملائكة، ناكف ما يستطيع المناكفة حتى هدأ للقصيدة فتجلت له وتجلى لها، لقد سمعته في أواخر أيامه يلهج بمسألة مدينة الحضور ومدينة الموتى ولقد ذكر لي بانه رأى حلماً لفترة متوالية ولأكثر من أيام في نوم كان يخضع له دون إرادة، ينام لمدة أربعين ساعة أو خمسين، في هذه الفترة يرى حُلماً واحداً بانه يذهب إلى مدينة لايوجد فيها أحد بيوتها خاوية، شجرها خاوٍ، أرضها خالية من البشر، مدينة ذات لون أصفر، وكان يخرج من هذا الحلم وهذه المدينة إلى الحياة والولادة فيبدأ كتابة قصائد متتالية تعبر عن غربته وقلقه وموقفه الفلسفي في الكون والوجود والتأمل، لقد رحل في غربة مرة كغيره من مثقفي العراق يسقطون كما تسقط الطيور على سفوح الجبال وفي حلوقهم غصة دون أن يشربوا من الفرات و«دجلة الخير» إن الغربة هي هذا التابوت الذي حمل البياتي عبر شوارع دمشق ماراً بقبر صديقه الروحي محي الدين ابن عربي ونقله إلى مدينة الموتى التي رآها في خياله ليقبر في قبرٍ جاف ومغبر لكنه يستنبت نخلة سامقة فروعها هي قصائد البياتي التي ستأكل من رطبها الأجيال المتلاحقة...».

وأخيراً بقي أن نقول بأن «البياتي» في حياته وتجربته ورحيله كان القصيدة الصوفية الأروع التي تضمنت ثلاثة وسبعين بيتاً شعرياً فيها من نبض قلب البياتي وخلايا روحه وجسده اللذين سينتظران كما البذرة في باطن الأرض لكي تشقها وتشرئب بعنقها معانقة نور العالم ■■

ناجي العلي على سفر وواقع الحال مقيم

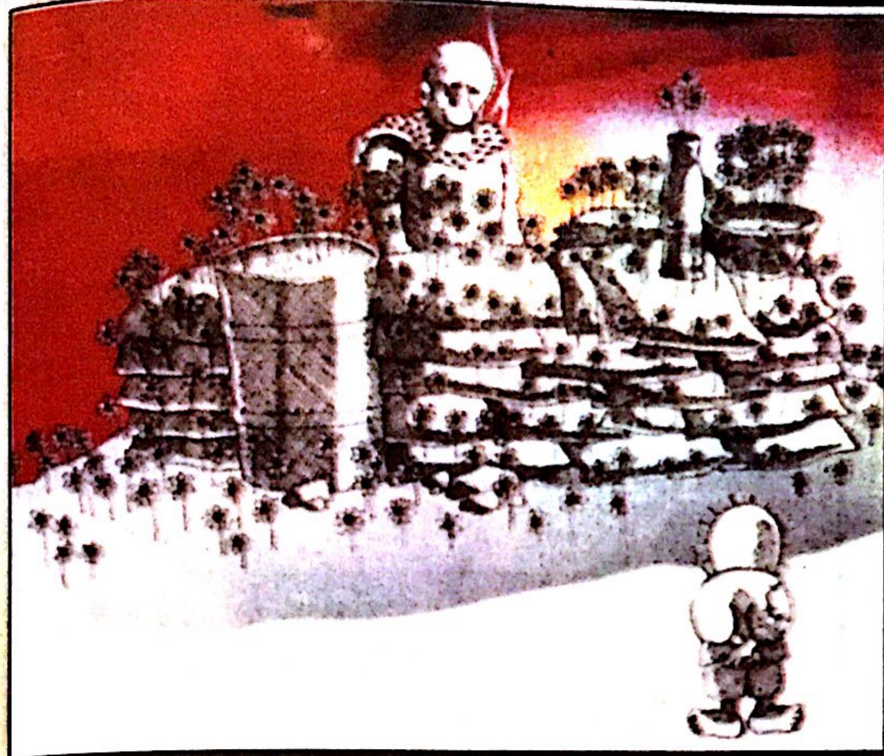






الآن «الهدف» على الانترنت

- العنوان الرئيسي مع هيئة التحرير: - E-mail : alhadaf@syberia.net.lb
- عنوان الموقع على الشبكة: - http://www. crosswinds.net/lebanon/~hadaff
- http://www.crosswinds.Palestine/~hadaff



في ذكرى استشهاده

ناجي العلي شعلة لاتنطفئ

د. ماهر الطاهر

في إطار العلاقة الجدلية بين الفن والوطن والقضية والإنسان خطّت ريشة ناجي العلي مفرداتها مشكّلة منشوراً سياسياً وطنياً وقومياً وإنسانياً، معبرة بإحساس صادق ومسؤولية واعية والتزام عميق عن معاناة وآمال وتطلعات شعب فلسطين وأمته العربية في مواجهة المشروع الصهيوني واستهدافاته، كما في مواجهة واقع الحال الفلسطيني والعربي.

وكانت ريشة العلي أداة نقد ووعي جادة وأصيلة اعتمدت الفن سلاحاً من أسلحة المواجهة مع العدو الصهيوني بكل ما يمثله مشروعه من عنصرية وعدوانية، ومع ترديات وسلبيات الواقع الفلسطيني والعربي، فخلقت بذلك مناخاً تحريضياً لدى المواطن العربي أدرك خطورته أعداء الوطن والقضية والإنسان فتناولت ناجي العلي رصاصة غادرة صيف ١٩٨٧ في مدينة لندن منهية خمسين عاماً من حياته الحافلة بالعطاء والإلتزام الوطني والقومي.

من قرية الشجرة الفلسطينية حيث ولد عام ١٩٣٧ نزح ناجي العلي إلى مخيم عين الحلوة في مدينة صيدا عام ١٩٤٨ حيث أتم تعليمه الابتدائي في مدرسة اتحاد الكنائس المسيحية، وعمل في قطف الحمضيات والزيتون في منطقة صيدا قبل أن يلتحق بالمدرسة المهنية للرهبان البيض بمدينة طرابلس مُنح على أثرها شهادة أتاحت له فرصة العمل بالورشات الصناعية في بيروت ثم السعودية بين عامي ١٩٥٧ و١٩٥٩.

منذ سن مبكرة زاول ناجي العلي هواية الرسم وتابع هذا النمط من التعبير الذاتي أثناء أوقات فراغه حتى عام ١٩٦٢ حيث عُيّن لأول مرة كرسام كاريكاتوري في الكويت حيث أقام حتى ١٩٧٧ عاد بعدها إلى بيروت. وفي الكويت نشرت أعماله أولاً في مجلة الطليعة ومن بعدها في جريدة السياسة.

في بيروت عمل العلي رساماً كاريكاتيرياً سياسياً في جريدة السفير، وفي الوقت نفسه كانت جريدة السياسة الكويتية تنشر رسوماته. ثم غادر بيروت في العام التالي للاجتياح الإسرائيلي عائداً إلى الكويت ليعمل في جريدة القبس، وفي عام ١٩٨٥ انتقل إلى مكتب القبس في لندن.

مازالت رسوم ناجي العلي حاضرة، وستبقى لأنها ببساطتها وعمق ما عبّرت عنه من قضايا المواطن والوطن والقضية أداة تحريض تتلازم مع كل أدوات النضال الأخرى باتجاه خلق واقع نضالي يعيد للإنسان الفلسطيني والعربي كرامته وللوطن حريته.

وبذلك خسر القاتل رهانه.

ناجي العلي طوبى لك في ذكرى استشهادك وعهداً على مواصلة الطريق لتحقيق كل ما آمنت وقضيت في سبيله.